

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

جهود السكاكي في علم البيان (١٢٦هـ)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

تخصص البلاغة والنقد

إشراف الدكتور/

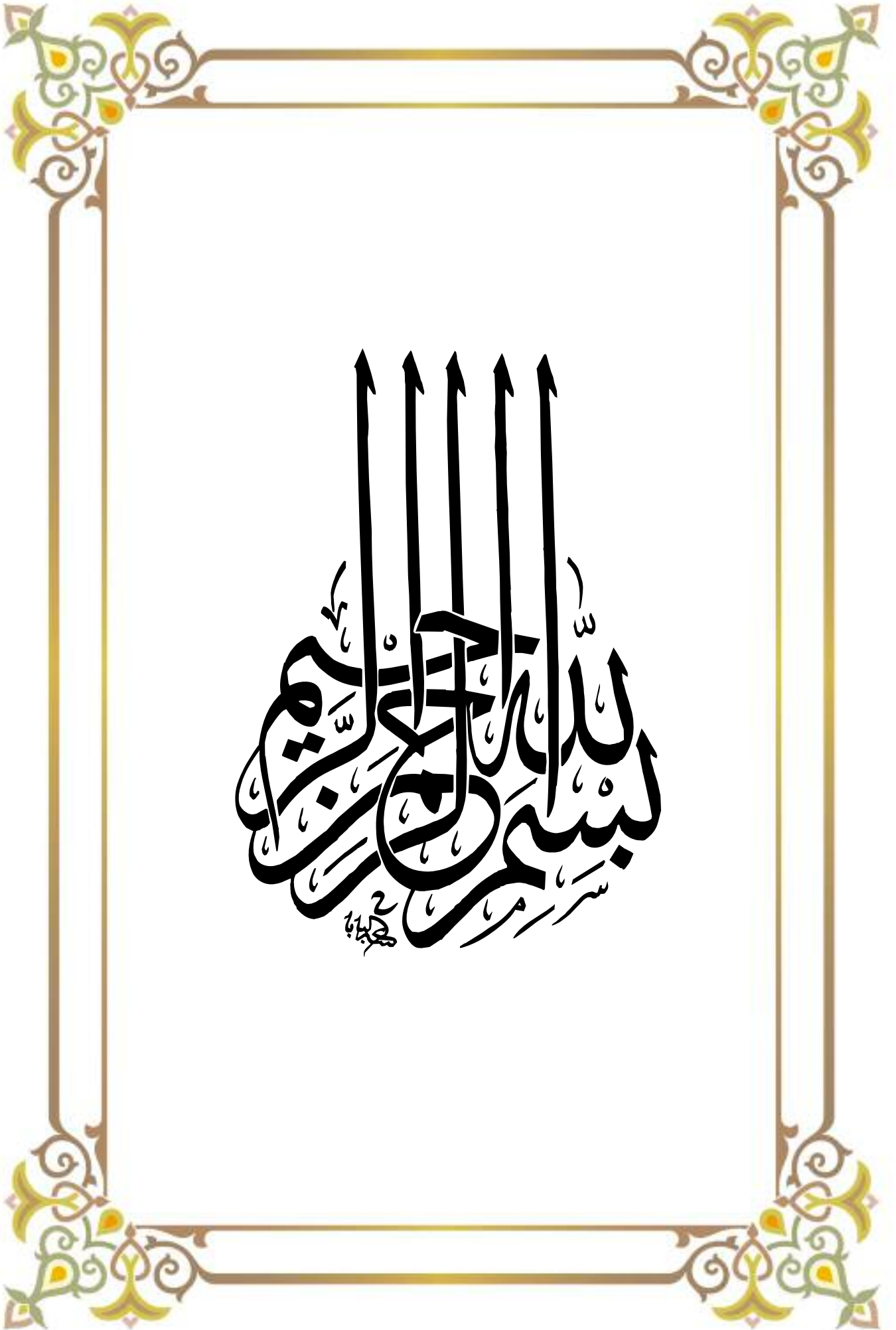
عبد الرحمن عطا المنان محمد

إعداد الطالبة/

سالي عبد العزيز أحمد الحاج

العام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قال الله تعالى:

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا^ج لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اَكْتَسَبَتْ^ف رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا^ج رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ^د عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا^ج رَبَّنَا
وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ^ط وَأَعْفُ عَنَّا^ح وَأَغْفِرْ لَنَا
وَأَرْحَمْنَا^ع أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ^ك.

صدق الله العظيم

(سورة البقرة الآية ٢٨٦).

إهداء

إلى والديّ متعهما الله بالصحة والعافية . . .

إلى أولادي قرّة عيني . . .

إخواني وأخواتي الأوفياء . . .

إلى أساتذتي الأجلاء . . .

إلى كل من ساهم معي ومد لي يد العون في هذا البحث . . .

الشكر والتقدير

الشكر أولاً وأخيراً لله العليّ القدير، ثم الشكر إلى الدكتور/ طلحة عيسى بروزة، الذي أوحى لي بفكرة هذا البحث، كما أشكر أستاذي الفاضل الدكتور/ عبد الرحمن عطا المنان، الذي أشرف على هذا البحث ولم يبخل عليّ لا بالوقت ولا بالمعلومة والنصح والإرشاد.

والشكر أجزله إلى الدكتور/ محمد أحمد إسماعيل، لرحابة صدره وسماحة نفسه. وكل الشكر والتقدير للصرح العظيم جامعة أم درمان الإسلامية التي شرفت بالانتماء إليها وإلى أسرتها المتمثلة في كلية اللغة العربية. والشكر إلى مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية. وإلى كل من ساهم في هذا البحث خصوصاً والدي العزيز الذي دعمني مادياً وساعدني في توفير أكثر المراجع والكتب. فله كل التحية والاحترام.

ملخص البحث

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، وجاء هذا البحث عن علم البيان الذي من خلال القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للعلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي (٦٢٦هـ) أقيمت فيه الضوء على جهوده في هذا العلم.

وكان البحث متضمناً أربعة فصول: فالفصل الأول جاء عن التشبيه وأقسامه وأغراضه وأيضاً تشبيه التمثيل. والفصل الثاني تحت عنوان الاستعارة وفيه أقسامها وبعض الآراء حولها.

والفصل الثالث جاء عن المجاز وأقسامه. والفصل الرابع جاء عن الكناية والفرق بينها وبين المجاز وأقسامها. ثم ختمت بأهم النتائج والتوصيات.

Abstract

The researcher follow up the descriptive analytic comparative method. The research talks about the rhetoric one of the three science of the Arabic rhetoric. I select this from the third part of the "Mugtah` Al Uloum", a book for AbuYagoob Alskaky "٨٢٦". I shed the light on his efforts in this in this field.

The research includes four chapter. The first one about the simile and its parts and uses as well Assimilation. The second one about metaphor and its parts and some views about it. The third one about metaphor and its parts.

The last one about imagery and the distinguish between it and metaphor and its parts.

I conclude my research with the most important result and recommendation.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا خاتم النبيين محمد ﷺ الذي جاء بالقرآن العربي المبين.

البلاغة العربية فن من فنون اللغة العربية، التي جاء بها القرآن معجزةً للعالمين. فالبلاغة وهي المتعلقة بنظم الكلام وإخراج غثه من سمينه وجدنا أن العرب منذ قديم الزمان قد اهتموا بها بل كانت تضرب لها الأسواق الأدبية كسوق عكاظ وهو أشهرها، يتجمع فيه الشعراء والأدباء وكل يعرض ما عنده من محاسن الشعر. ولعل الذي جعل هذا العلم من أجل العلوم هو انتماءه للقرآن الكريم. الذي بدوره دفعهم إلى التأمل والبحث عن مكنونه البلاغي الجميل وما فيه من إعجاز. ووضعهم لعلم البلاغة لم يكن إلا للوصول إلى غايتهم تلك، هذا من جهة ومن جهة أخرى أرادوا الاستفادة مما جاء فيه ليجودوا أساليبهم الأدبية وطرائقهم في التعبير عما يخلج في نفوسهم من شعور.

فكان علم البلاغة العربية ثمرة لجهود علماء أجيال عاش بعضهم في القرن الثالث الهجري في حين برز جلهم في القرون الأربعة التالية. أما بحثي هذا فجاء عن علم البيان في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، والذي جاء عنده في القسم الثالث من كتابه، أردت أن ألقى الضوء على جهوده في هذا العلم مع مقارنته ببعض العلماء المتقدمين عليه، ثم أثره على بعض المتأخرين.

أسباب اختيار الموضوع:

تعلقني الشديد بمادة البلاغة العربية منذ الدراسة والفضل في ذلك يرجع إلى معلمتي وأمي الثانية الأستاذة ميمونة محمد الخاتم.

أهمية الموضوع:

وأهميته تكمن في علم البيان، ومكانته بين علوم البلاغة، ومنهج السكاكي وما دار حوله من نقاش وجدل أردت الوقوف عنده، مع إتباعي للمنهج الوصفي في هذا البحث.

وقد واجهتني صعوبة في فهم أسلوب السكاكي. ويتكون البحث من المقدمة وتمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: التشبيه:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حول مفهوم التشبيه.

المبحث الثاني: أقسام التشبيه.

المبحث الثالث: الغرض من التشبيه.

المبحث الرابع: تشبيه التمثيل.

الفصل الثاني: المجاز:

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: المجاز اللغوي.

الاستعارة.

المبحث الثاني: المجاز العقلي.

الاستعارة المكنية.

المبحث الثالث: المجاز المرسل.

الفصل الثالث: الكناية:

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الكناية عند السكاكي.

المبحث الثاني: تقسيم الكناية باعتبار المكنى عنه.

تقسيم الكناية باعتبار الوسائط.

الخاتمة:

وفيها توصلت إلى أهم النتائج.

الفهارس:

الفهارس العامة.

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

وقبل الدخول في الدراسة الفعلية يستحسن أن تناول الحديث عن مفهوم علم

البيان ليكون مدخلاً للدراسة الفعلية.

مَهَيِّدًا حول مفهوم علم البيان

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^(١)،

أي ليوضح لهم أمور دينهم.

علم البيان، من علوم البلاغة العربية، تكمن أهميته وجماله في الوقت ذاته - في ارتباطه الوثيق بالقرآن لمعرفة إعجازه الفني وبديع تصاويره. فالبيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسان، أصله الكشف والظهور. وهو الفصاحة اللسان، كلام بين فصيح. وبيان الإفصاح مع الذكاء، والبين من الرجال: السمع اللسان، الفصيح الظريف، العالي الكلام، فلان أبين من فلان: أي أفصح منه لساناً وأوضح كلاماً^(٢). فهو يكسب الكلام قوة التأثير وصفة السحر التي أطلقها عليه رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه: "إن من البيان لسحراً"^(٣).

وأول من بدأ في هذا الجانب الجاحظ^(٤)، إذ أن مفهوم البيان عنده اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٢) لسان العرب: ابن منظور، ج ٢، ط ١، بيروت، دار صادر، حرف الباء، باب الباء، مادة (بين).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاتي، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج ٩، ط ١، ص ٢٤٥.

(٤) الجاحظ: سمر بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية في المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة، مات والكتاب على صدره، وله تصانيف كثيرة منها: (الحيوان) أربعة مجلدات، (البيان والتبيين)، الأعلام: الزركلي، ج ٥، ط ١، ص ٥.

والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع^(١).

ويقول أيضاً: (الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه، ويدعو إليه، ويحث عليه، وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب)^(٢).

فهذا كلام واضح وواف لمعنى البيان، وذلك أنه جعله اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى، فهو في هذا لا يختص بلفظ: وتراكيب، ولا بلغة معينة، وإنما يشمل كل ما يحصل به الفهم من ألفاظ، وتراكيب، وغيرها من أدوات التعبير عما في النفس، لأن غاية الإنسان أن يفهم غيره ما في نفسه، فبأي وسيلة كان هذا الإفهام، فهو بيان.

(١) البيان والتبيين: الجاحظ، ط٤، دار الفكر، بيروت، ج١، ص ٧٦.

(٢) السابق نفسه، ج١، ص ٧٩.

بيئة السكاكي وعصره

في أواخر القرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع ظهر كتاب "مفتاح العلوم" الذي سيطرت عليه النزعة المنطقية والفلسفية، والضبط الجاف لمسائل البلاغة ومباحثها. وشرع الدارسون وطلاب العلم في دراسته وتحليله. وفي إبان تلك الفترة ظهر كتابا "الطراز" ليحيى بن حمزة، وكتاب "الفوائد" لابن قيم الجوزية. ولكن لم يشهدا تلك العناية التي شهدها كتاب "مفتاح العلوم" مع العلم أنهما يمتازان بالروح الأدبية القديمة. كما أن بدر الدين بن مالك قد أخرج أول تلخيص - كما يعد - لمفتاح العلوم وسماه "المصباح" وهو ملخص لما كتبه السكاكي.

وأيضاً ظهر في تلك الفترة كتابي "التلخيص" و"الإيضاح" للخطيب القزويني فعكف الدارسون على دراسة مفتاح العلوم والشروحات والتلخيصات التي أعقبته والحواشي. فظلوا يتدارسونها ويدرسونها، محاولة منهم لفهمها لما يشوب الكتاب من نهج فلسفي جامد بعيداً عن الروح الأدبية. وبالتالي فقد اشتهر هذا الكتاب والتلخيصات والشروح التي تلتها شهرةً واسعة لم يحصل عليها كتاب من قبل. وكان الكتاب تلو الآخر، تسهيلاً لفهمه بالنسبة للأجيال المتعاقبة.

فكان العلماء من أمثال الخطيب القزويني وسعد الدين التفتازاني وبهاء الدين السبكي لا يخرجون عما خطه لهم شيخهم السكاكي.

فتح القائد قتيبة بن مسلم الباهلي بلدة خوارزم عام ٩٣هـ، وهي كورة على حافتي نهر جيحون في آسيا الوسطى^(١). ومنذ ذلك الوقت أصبحت من أهم البلدان الإسلامية وموطناً لكثير من العلماء الأجلاء كالزمخشري، والرازي والمطرزي والسكاكي، وغيرهم ممن تزخر بهم كتب الأدب والتاريخ.

زارها ياقوت الحموي سنة ٦١٦هـ وأعجب بها أيما إعجاب وذكر أن خوارزم ليس اسماً للمدينة، وإنما اسم للناحية كلها وعاصمتها مدينة الجرجانية التي يسميها أهل خوارزم بلسانهم "كركانج" وذكر أيضاً أنه لا يعلم مدينة رآها أعظم منها، ولا أكثر أموالاً ولا أحسن أحوالاً^(٢).

وقد اتفق كثير من جغرافي العرب ورحالتهم على وفرة خبرات خوارزم وجمالها، واتفقوا على حسن أخلاق أهلها^(٣).

وتمخضت هذه البيئة الخصبة الرغدة وأنجبت الكثير من العلماء الذين صاروا مفخرة للعرب والمسلمين. وساهمت في إثراء العلم وصارت قبلة للطلاب والدارسين. لما فيها من أمن واستقرار.

حكم هذه الدولة ثمانية ملوك، عاصر السكاكي خمسة منهم ولعب دوراً فعالاً في عهد اثنين منهم هما: علاء الدين محمد (٥٩٦هـ - ٦١٧هـ)، وجمال الدين منكبرتي (٦١٧-٦٢٨هـ). غير أن علاقته بالأول كانت أقوى وأكثر رسوخاً.

وبلغت أقصى اتساعها في عصر السكاكي، ولاسيما في عهد علاء الدين خوارزم شاه، ولم تسلم من بعض المنازعات والصراعات بينهما وبين الإمارات المجاورة لها. وقد شهد السكاكي هذه الصراعات وعاشها لأنه لم يكن بعيداً عن الأمير وقصره.

(١) انظر معجم البلدان للحموي، ج ٣، ص ٤٧٤.

(٢) انظر معجم البلدان، ج ٢، ص ٧٩-٨٠.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: للمقدسي، ص ٢٨٥ وما بعدها. ومعجم البلدان للحموي، ج ٣،

إبان عصر السكاكي ازدهرت الحياة العقلية في خوارزم، وبالرغم من أنها بعيدة عن بلاد العرب إلا أن الإسلام قد ألقى بظلاله عليها وأشاع فيها النور وحب العلم، فما كان من أهلها من غير العرب الانصراف إلى معرفة وتعليم اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم. وبلغت الحركة الفكرية أوجها في عصر الدولة العباسية التي كان لخلفائها كبير الأثر في ازدهارها وإثراء الحركة العلمية فيها.

وقد نالت علوم العربية الحظ الأوفر في ذلك التقدم والازدهار، فخرجت كتب اللغة والنحو والبلاغة، وتم جمع التراث العربي القديم من شعر ونثر. وهذا المقدسي يقول عن أهل خوارزم: "أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب، وأقل إمام في الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمي قد تقدم وزجا"^(١).

كان المذهب السائد في ربوع خوارزم هو المذهب الحنفي، ولكن الاعتزال انتشر انتشاراً كبيراً حتى لتكاد لفظه "خوارزمي" ترادف لفظه "معتزلي" وقد أثبت ذلك ياقوت الحموي في القصة التي ذكرها عن القاسم بن الحسين بن أبي بكر الخوارزمي، يقول: "وقلت له: ما مذهبك؟ فقال: حنفي، ولكن لست خوارزمياً، لست خوارزمياً، يكررها، غنما اشتغلت ببخارى فأرى رأي أهلها. نفى عن نفسه أن يكون معتزلياً - رحمه الله"^(٢).

وكان الخوارزميون متمسكين بالإسلام تمسكاً كبيراً، فكان جل همهم إعلاء كلمته وإرساء قواعده وأصوله. واتجه الكثيرون منهم إلى الاعتزال مشبعين بالروح الإسلامية. فكان فيها المفسرون وعلى رأسهم الزمخشري، واللغويين والبلاغيين والمتكلمون، وكان فيها الأدباء والشعراء، وقد بلغت أوج ازدهارها في القرنين الخامس والسادس الهجريين أي في عصر

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: المقدسي، ص ٢٨٤.

(٢) معجم الأدباء: الحموي، ج ١٦، ص ٢٣٩.

السكاكي. وقد نالت العلوم الإسلامية واللغوية والكلامية اهتماماً عظيماً من الدارسين، ودليل ازدهارها ما أخرجته عبد القاهر الجرجاني والزمخشري والرازي والمطرزي والسكاكي وغيرهم.

شاعت العلوم الأدبية في عصر السكاكي، وكان من أسباب شيوعها وجود المدارس المختلفة في جميع المدن الإسلامية آنذاك. وكان للعربية الحظ الأوفر من التأليف حيث كثر فيه مباحث الصرف والنحو والبلاغة. وكان للبلاغة طابع خاص في تلك البيئة. إذ تميزت في عصر السكاكي بثلاثة اتجاهات في دراسة البلاغة والنقد هي:

١- مذهب المشاركة.

٢- مذهب العراق ومصر والشام.

٣- مذهب الأندلس وبلاد المغرب.

وكان لكل منها رجالها وأعلامها المشهورون^(١).

أما مذهب المشاركة ليس وليد عصر السكاكي، وإنما هو وليد قرون سابقة، فقد أثرت الفلسفة في البلاغة منذ عهد مبكر، وصبغت كثيراً من مسائلها بالنزعة العقلية عن الروح الأدبية. وتجلت هذه النزعة بوضوح في كتابي "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني بوضوح، ولا عجب فقد كان مؤلفها متكلماً على مذهب الأشعري ولكنه استطاع أن يخفف من غلواء هذه النزعة بما وهب من ذوق أدبي وقدرة على التحليل وتمييز الأساليب.

(وكانت كتب عبد القاهر حجر الأساس الذي بنى عليه البلاغيون دراستهم البلاغية... لكنهم أحالوا بلاغة عبد القاهر إلى قواعد ليس فيها روح الأدب والفن والجمال... وكان لمذهب المشاركة أثر كبير في تحديد مسائل البلاغة، ففي بيئة خوارزم انقسمت البلاغة إلى علومها الثلاثة: المعاني

(١) البلاغة عند السكاكي: د. أحمد مطلوب، ص ٤١.

والبيان والبدیع وكان ذلك على يد السكاكي، ومن هذه البيئة خرج المنهج البلاغي الذي سيطر على الدراسات البلاغية حتى عصرنا هذا^(١).

هذا السبكي الذي يثنى على الجهد الذي قام به المشاركة وبالرغم عن دعوته لبحث البلاغة بأسلوب أدبي يسير على خطى من سبقوه، يقول: (وأما أهل بلاد المشرق الذين لهم اليد الطولى في العلوم لاسيما العقلية والمنطق فاستوفوا همهم الشامخة في تحصيله، واستدلوا بجهدهم على جملة وتفصيله، ووردوا مناهل هذا العلم، فصدروا من عندها. وكيف لا وقد جلبوا عليه بملء مسجلهم بخيلهم ورجلهم فلذلك عمروا منه كل دارس، وعبروا من حصونه المشيدة ما رقد عنه الحارس، وبلغوا عنان السماء في طلبه"^(٢)).

ومن أعلام هذه المدرسة جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ) صاحب تفسير "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" الذي بناه على البلاغة. وفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) صاحب كتاب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" الذي لخص فيه كتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. وأبو الفاضل المظفر ناصر بن أبي المكارم المطرزي (٦١٠هـ) صاحب كتاب "الإيضاح في شرح مقامات الحريري". وفيه مقدمة مهمة في البلاغة لم يخرج فيها عما كتب عبد القاهر^(٣).

(١) انظر البلاغة عند السكاكي ص ٤٣.

(٢) عروس الأفراح: بهاء الدين السبكي، ج ١، ص ٢١.

(٣) انظر البلاغة عند السكاكي، ص ٤١-٤٣.

كانت حياة السكاكي يلفها الغموض، ولم توجد له غير القليل من المعلومات المتناثرة بين طيات التراجم وكتب التاريخ وغيرها. ومن خلال هذه المراجع التي استطعنا الحصول عليها. سنتحدث عن حياته وبعض الملامح العامة فيها.

هو سراج الدين يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، أبو يعقوب السكاكي الخوارزمي^(١).

ونسبته إلى صنعة السكة، لأنه كان صانعاً يشتغل بالصناعات الحديدية اليدوية كما يتضح من القصة التي رويت عن إهدائه محبرة من صنع يديه لملك زمانه والتي كانت سبباً في طلبه العلم - ذكر السيوطي عنه، قال: "السكاكي - بالفتح والتشديد - يسميه أبو حيان في الارتشاف ابن السكاك فهو إلى جده، وكأنه إلى صنعة السكة التي يضرب بها الدرهم"^(٢).

اشتهر أبو يعقوب بهذا اللقب، أما حياته فيكتنفها بعض الغموض ولم تذكر المصادر شيئاً عنه غير أنه وفي أول حياته كان حداداً، حتى جاوز الثلاثين من عمره ثم انصرف إلى العلم. ذكر صاحب روضات الجنات أنه كان في مبدأ أمره حداداً، فعمل محبرة صغيرة من الحديد، وجعل لها قفلاً عجبياً، ولم يزد وزن تلك المحبرة وقلها قيراطاً واحداً، فأهداها إلى ملك زمانه، ولما رآه الملك وندما جلسه الرفيع لم يزيديا على ترحيب الرجل على صنعته، فاتفق أنه كان واقفاً في الحضور إذ دخل رجل آخر، فقام الملك احتراماً لذلك الرجل، وأجلسه مقامه، فسأل عنه السكاكي، فقيل له: إنه من جملة العلماء، فنفكر السكاكي في نفسه أنه لو كان من هذه الطائفة لكان بلغ ما

(١) انظر في التعريف بالسكاكي: معجم الأدباء، شذرات الذهب، الجواهر المضئية في طبقات الحنفية، ج ٢، ص ٢٢٥، تاريخ التراجم ص ٦٠، كشف الظنون ١٧٦٢، الأعلام للزركلي، ص ٢٩٤، معجم المؤلفين ص ٢٨٣، تاريخ العلوم البلاغية للمراغي، ص ١١٠، مفتاح العلوم تحقيق: د. عبد الحميد هنداي، البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف.

(٢) لب الألباب في تحرير الأنساب: للسيوطي، ج ١، ص ١٣٧.

كان يطلبه من الفضل والشرف والقبول. وخرج من ساعته إلى المدرسة لتحصيل العلوم^(١).

ذكرت المصادر أنه لاقى في تعليمه مشقة كبيرة في الفهم والأخذ عن أساتذته حتى أنه ترك الدراسة ولكنه عاودها مرة أخرى حتى أفلح فيها وصار من العلماء البارزين في عصره وتفنن في شتى العلوم. فصار ممن لهم الحظوة عند ملك زمانه السلطان علاء الدين محمد الذي تولى ملك خوارزم سنة ٥٩٦هـ^(٢).

إن طلب السكاكي للعلم كان بسبب نيل الحظوة والمكانة عند الملوك - كما ذكرنا- ويذكر الدكتور أحمد مطلوب قصة نقلاً عن محمد عبد الحي اللكنوي: "كان السكاكي عالماً محققاً في الفنون الغربية والعلوم العجيبة من ذلك علم البلاغة بأنواعها، وعلم تسخير الجن ودعوة الكواكب وفن الطلسمات والسحر والكيمياء وعلم خواص الأرض وأجرام السماء وغير ذلك. وكان السلطان جفتاي خان بن جنكيز خان حاكم ما وراء النهر وحدود خوارزم وكاشغر وبدخشان وبلخ وغيرها، لما اطلع على فضائله جعله أنيسه وجليسه..."^(٣).

وحسبما اطلعت^(٤) كانت نهايته على يد وزيره حبش عمير وزير جفتاي خان ابن جنكيز خان. قال صاحب الفوائد البهية: "فوجد حبش عمير"، موقع السعاية وقال لجفتاي: لما كان قادراً على إيجاد مثل هذه الأمور فلا عجب منه لو انتزع سلطتك، فتخيل هذا في خيال جفتاي، وحبس السكاكي، ولم يزل في الحبس ثلاث سنين إلى أن مات^(٥).

(١) انظر الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٢١.

(٢) انظر البلاغة عند السكاكي، ص ٤٩-٥٠.

(٣) السابق نفسه، ص ٥١.

(٤) مقدمة مفتاح العلوم، ص ١٦.

(٥) الفوائد البهية، ص ١٢٢.

شيوخه:

لم ينتقل السكاكي عن بيئة خوارزم، لذلك كانت ثقافته وعلمه كلها مأخوذة عن علمائها، غير أن المصادر لم تذكر له غير الحاتمي والذي ذكره بنفسه في كتابه في معظم الأحيان: "وكان شيخنا الحاتمي ذلك الإمام الذي لن نسمع بمثله الأدوار ما دار الفلك الدوار تغمده الله برضوانه يحيلنا بحسن كثير من مستحسنات الكلام إذا راجعناه فيها على الذوق". ويقول: "وهنا نوع ثالث من الاشتقاق كان يسميه شيخنا الحاتمي رحمه الله الاشتقاق الأكبر... وأنه نوع لم أر أحداً سحره هذا الفن -وقليل ما هم- حام حوله وجهه إلا هو. وما كان ذلك منه -تغمده الله برضوانه وكساه حلل غفرانه- إلا يكونه الأول والآخر من علماء الفنون الأدبية إلى علوم آخر، ولا ينبئك مثل خبير"^(١).

"وأستاذه الثاني محمود بن صاعد بن محمود الحارثي. ولم نعثر على ترجمته الإمام أشار إليه مترجمو السكاكي بقولهم أنه كان شيخ الإسلام، والثالث محمد بن عبد الكريم التركستاني الخوارزمي، كان يعرف ببرهان الأئمة"^(٢).

لكني لم أجد في كتابه إشارة إلى غير الحاتمي وصاحب الكشاف وعبد القاهر الجرجاني.

"أما تلاميذه فقد كانت المصادر أقل عناية بذكرهم فلم يذكروا إلا واحداً أخذ عنه علم الكلام هو: مختار بن محمود بن محمد الزاهدي، أبو الرجاء القزيني، الملقب نجم الدين، وشرح القدوري وغيره"^(٣).

ومن المعلوم لدينا أن الخطيب القزويني لخص المفتاح والتفتازاني شرح التلخيص، وبالتالي كل من له صلة بالمفتاح فهو تلميذ للسكاكي، إلا إذا كان محقق، يعني تلاميذه في حياته^(١).

(١) انظر مفتاح العلوم، ص ٤٩-٥٠.

(٢) انظر البلاغة عند السكاكي، ص ٥٥.

(٣) مفتاح العلوم، ص ١٧.

طائفته:

قال محقق كتاب المفتاح عن طائفته ما يلي: (يقول: قولك عند المخالف: الله إلهنا، ومحمد نبينا والإسلام ديننا، والتوحيد والعدل مذهبنا، والخلفاء الراشدون أئمتنا... فهو يعترف في هذا النص بمذهبه التوحيد والعدل، أي مذهب المعتزلة)^(٢).

والسبكي أيضاً يقول عند كلامه على الأسماء: (أراد أن السكاكي يرى الأسماء اصطلاحية لكونه معتزلياً)^(٣).

أما ثقافته الكلامية والمنطقية فكانت تبدو واضحة في منهجه ومادة كتابه مفتاح العلوم. يقول معاصره ياقوت الحموي عن ثقافته إنه: (فقيه متكلم متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان)^(٤).

إن السكاكي كان ابن عصره، حيث إن شيمة العلماء في ذلك الزمان الموسوعية في العلم، ومنهج التأليف في ذلك العصر هو المنهج المنطقي الإقناعي، الذي يعتمد على تعريف الأشياء بالحد التام، كما يقول المناطقة. وتقسيم الكل إلى أدق أجزاءه، عليه فكان السكاكي عالماً في جميع علوم عصره، واتبع في تأليفه المنهج الفلسفي المنطقي، وفقاً لطريقة التأليف في ذلك العصر^(٥).

مؤلفاته:

كتاب مفتاح العلوم والذي نحن بصدد دراسة القسم الثالث منه "علم

البيان".

(١) مقدمة المحقق لمفتاح العلوم، ص ١٧.

(٢) مفتاح العلوم، ص ١٥.

(٣) عروس الأفراح: السبكي، ج ١، ص.

(٤) معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٩.

(٥) مقدمة مفتاح العلوم، ص ١٥.

ويذكر السكاكي أن له كتاب "شرح الجمل وهو شرح لكتاب الجمل للإمام عبد القاهر الجرجاني، وهذا هو الكتاب الوحيد الذي ذكره بنفسه"^(١).

وقد ذكر له المؤرخون أمثال ابن خلدون كتاب "التبيان" في حديثه عن كتاب مفتاح العلوم، يقول: "ولخصوا منه أمهات هي المتداولة لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيان"^(٢).

والزركلي في الأعلام ذكر رسالة في علم المناظرة ذكرها جرجي زيدان وقال أن منها نسخة في "منشن"^(٣).

وكتاب "الطلسم" الذي ذكره صاحب روضات الجنات وهو باللغة الفارسية^(٤).

والذي يهمننا منها هو كتاب مفتاح العلوم لأنه أشهرها وموضوع بحثنا. والذي جعل السكاكي يؤلفه هو استجابته لرغبة جماعة من أهل زمانه. يقول: "ولما كان حال نوعنا هذا ما سمعت، ورأيت أذكى أهل زمانى الفاضلين الكاملى الفضل قد طال إلحاحهم على فى أن أصنف لهم مختصراً يحظيهم بأوفر حظ منه، وإن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كل ذكى صنف هذا وضمنت لمن أتقنه أن يفتح عليه جميع المطالب العلمىة، وسميته مفتاح العلوم"^(٥).

ويقول عنه: "قد ضمنى كتابى هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رأيت له لابد منه وهى عدة أنواع متآخذة، فأودعته: علم الصرف بتمامه، وأنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع إلى أنواعه الثلاثة وقد كشفت عنها القناع،

(١) مفتاح العلوم، ص ١٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٥٢، علوم البلاغة للمراغى، ص.

(٣) الأعلام: الزركلى، ج ٩، ص ٢٩٤.

(٤) روضات الجنان، ج ٤، ص ٢٣٩.

(٥) مفتاح العلوم: السكاكى، ص ٣٩.

وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان...ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الاستدلال والحد لم أر بدأً من التسمح بهما، وحين كان التدرب في علمي المعاني والبيان موقوفاً على ممارسة باب النظم، وباب النثر، ورأيت صاحب النظم يفتقر إلى علمي العروض والقوافي ثبت عنان القلم إلى إيرادهما"^(١).

أما أسلوبه في الكتاب فكان أسلوب العالم لا أسلوب الأديب، فقد غمر الكتاب بنظرته الفلسفية وإخضاع المسائل البلاغية لعلم المنطق. فهو لم يكن يهدف إلى الناحية الجمالية وإنما إلى القواعد والأسس. وقد حدا حذوه كل من أراد أن يبحث في مفتاح العلوم. وأصبح شغلهم الشاغل أن يتسابقوا في إظهار ذخيرتهم اللغوية، وإبراز مواهبهم في النقاش والجدل.

ذكر الدكتور أحمد مطلوب أن: "السكاكي لم يكن أول من ذكر مصطلح "البيان" وأطلقه على الموضوعات التي حصرها بعقليته الفلسفية وإنما ظهر هذا المصطلح منذ القرن الثاني الهجري أو أوائل القرن الثالث على يدي الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"، ولكنه لم يقصد بالبيان العلم الذي يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وإنما يقصد به معظم موضوعات البلاغة، كما كان عبد القاهر الجرجاني وضياء الدين بن الأثير وغيرهما ينظرون إليه"^(٢).

لكن السكاكي جعله العلم الذي يتكلم عن التشبيه والمجاز والكناية وذلك بتعريفه الذي يقول فيه: "البيان هو إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٣٧-٣٨.

(٢) البلاغة عند السكاكي، ص ١١٨.

بالزيادة في وضوح الدلالة، وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ
في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"^(١).

(١) مفتاح العلوم، ص .



الفصل الأول التشبيه

الفصل الأول التشبيه المبحث الأول مفهوم التشبيه

من أوسع فروع علم البيان الذي اهتم به البلاغيون كثيراً، وسار على نهجهم السكاكي في القسم الثالث من كتابه مفتاح العلوم، واستفاد من علماء البلاغة الذين سبقوه منذ القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس الهجري، وأضاف إلى ما أتوا به تفصيلاً وتقسيماً لمنهج عصره، كما أشرت إلى ذلك، وسأقف بقدر المستطاع على الذين سبقوه منهم.

محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي:

يقول: "واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرت به تجاربهم وهم أهل وبر... فشبهت الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادت، فإذا تأملت أشعارها، وفتشت جميع تشبيهاتها وجدتها على ضروب مختلفة تتدرج أنواعها. فبعضها أحسن من بعض،... فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينقص، بل يكون كل مثبه بصاحبه مثل صاحبه، ويكون صاحبه مثله مشتبهاً به صورة ومعنى. وربما أشبه الشيء الشيء صورة وخالفه معنى، وربما أشبهه معنى وخالفه، صورة وربما قاربه وداناه أو شامه وأشبهه مجازاً لا حقيقة"^(١).

من الملاحظ هنا أن التشبيه عنده مستتب من أحكام العرب على

الشعر.

(١) عيار الشعر: لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق وتعليق الدكتور محمد زغلول سلام،

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ط ٣، ص ٤٨-٤٩.

علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني:

كان مفهومه للتشبيه مفهوماً عميقاً، يعتمد فيه على الأثر النفسي له. فهو لا يكتفي ببيان المشبه والمشبه به، بل يراه من الإعجاز البلاغي في النظم القرآني. كما أنه يرى أن الصور التشبيهية ليست صوراً جامدة. وإنما هي صور مفعمة بالحركة وتصوير الانفعالات وما تتركه في النفس. عرفه في البدء بأنه: "هو العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقد"^(١).

والعقد المقصود في التعريف هو عقد الكلام أو المشبه، والمشبه به على صورة أو هيئة تفيد أن أحدهما يسد مسد الآخر، وذلك في صفة مشتركة تجمعهما.

أما قوله: حس أو عقل، فمعناه أن التشبيه الحسي يكون بين شئيين يسد أحدهما مكان الآخر في الحس، وذلك مثل: هذا الماء كهذا الماء. أو هذا الذهب كهذا الذهب. أما التشبيه النفسي مثل تشبيه قوة عمرو بقوة زيد، ففيه أن أحداً يقوم مقام الآخر في العقد، يقول الرماني في هذا بأن: "القوة لا تساعد لكنها تعلم"^(٢). بمعنى أن أحد الطرفين يسد مكان الآخر في الصفة المشتركة. فنظرته إلى التشبيه نظرة متكاملة يكون فيها الكلام وحده شاملة تؤدي الغرض المنوط بها مع أجمل وأحسن تأليف.

وهو مفهوم واضح جلي ساقه بروح الأديب، وهو يرى أن أحسن التشبيهات إذا ما جعلت المشبه به هو المشبه.

(١) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق محمد خلف الله، د. محمد

زغلول سلام، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م، دار المعارف بمصر، ص ٨٠.

(٢) النكت: ص ٨١.

أبو هلال العسكري:

أما عن مفهوم التشبيه عند العسكري فيتضح بقوله: "التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب"^(١). من كلام أبي هلال هذا يفهم أن التشبيه هو اشتراك شيئين في صفة من الصفات عن طريق أداة التشبيه، أو أن المشبه اتصف بالصفة التي تجمع بينه وبين المشبه به حقيقة، أو لم يتصف بها حقيقة. وهذا ما يشرحه قوله: "وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه، وذلك قولك: زيد شديد كالأسد- فهذا القول الصواب في العرف وداخل في محمود المبالغة، وإن لم يكن زيد في شدته، كالأسد على الحقيقة... على أنه "قد روى: "أن إنساناً قال لبعض الشعراء: زعمت أنك لا تكذب في شعرك، وقد قلت: وأنت أجرأ من أسامة أو يجوز أن يكون رجل أشجع من أسد؟ فقال وقد يكون ذلك، فإننا قد رأينا مجزاة بين ثور فتح مدينة ولم نر الأسد فعل ذلك فهذا قول"^(٢).

وعلى هذا قوله: (ناب منابه أو لم ينب) أي: إذا شاركه في هذه الصفة جملة أو شابها من وجه واحد.

وقد جعل أبو هلال التشبيه على أربعة أوجه:

"أحدهما: إخراج ما لا يقع عليه الحاسة... وهو قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾^(٣). فأخرج ما لا يحس إلى ما يحس"^(٤).

(١) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبي هلال العسكري، تحقيقك مفيد قميجه، ط٢، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ص ٢٦١.

(٢) الصناعتين: العسكري، ص ٢٦١.

(٣) سورة النور، الآية ٣٩.

(٤) الصناعتين: العسكري، ص ٢٦٢.

"والوجه الآخر: إخراج ما لم يجر به العادة إلى ما جرت به العادة. كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾^(١). والمعنى الجامع بين المشبه والمشبه به الانتفاع بالصورة"^(٢).

"والوجه الثالث: إخراج ما يعرف بالبدئية إلى ما يعرف بها. فمن هذا قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٣). قد أخرج ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بها. والجامع بين الأمرين العظم... والفائدة فيه التشويق إلى الجنة بحسن الصفة"^(٤).

"والوجه الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصفة على ما له قوة فيها كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾^(٥). والجامع بين الأمرين العظم... والفائدة البيان عن القدرة في تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون في الماء"^(٦).

أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني:

جاء مفهومه للتشبيه في قوله: "التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"^(٧). فهو يرى أن المشبه به مع المشبه لا يجب أن يشترك في كل الصفات. يقول: "ألا ترى أن قولهم: "خد كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧١.

(٢) الصناعتين: العسكري، ص ٢٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٣.

(٤) الصناعتين: أبي هلال العسكري، ص ٢٦٣.

(٥) سورة الرحمن، الآية ٢٤.

(٦) الصناعتين: العسكري، ص ٢٦٤.

(٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونفده: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، الأزدي، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، مصر، الطبعة الأولى، ص ٢٣٧.

الورد وطرأوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كئامه... فوقوع التشبيه إنما هو أبداً على الأعراض لا على الجواهر؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد"^(١).

فالتشبيه عنده بالمقاربة، فالعيون هي العيون في كل الكائنات الحية. لكن تختلف في أشكالها وألوانها من هنا جاء التشبيه -بمفهومه- نحو: عيونها كعيون المها.

ابن سنان الخفاجي:

جاء عنده: (وهو أن يقال أحد الشئيين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات، ولن يجوز أن يكون أحد الشئيين مثل الآخر من جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تغاير البتة، لأن هذا لو جاز لكان أحد الشئيين هو الآخر بعينه، وذلك محال، وإنما الأحسن في التشبيه أن يكون أحد الشئيين يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه، وبالضد، حتى يكون رديء التشبيه ما قل شبهه بالمشبه به)^(٢).

فهو يرى أنه لا يصح التشبيه إلا إذا وجد فرق وتغاير في بعض الصفات بين المشبه والمشبه به. وقد ذكر أن للتشبيه حروفاً قائلًا: "وقد يكون التشبيه بحروفه، كالكاف وكأن وما يجرى مجراهما، وقد يكون بغير حرف ظاهر المعنى، ويستحسن ذلك لما فيه من الإيجاز"^(٣).

عبد القاهر الجرجاني:

أما عن التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني فكان في كتابه أسرار البلاغة. جاء مشروحاً مهذباً في مسائله، بأسلوب أدبي رفيع. عرفه قائلًا:

(١) العمدة: ابن رشيق القرواني، ص ٢٣٧.

(٢) سرح الفصاحة: للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، المتوفى ٤٦٦هـ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص ٢٤٦.

(٣) سرح الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص ٢٤٦.

"اعلم أن الشئيين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأويل".

والآخر: "أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأويل"^(١). يعني أن مفهوم التشبيه عنده، هو اشتراك شئيين في صفة من الصفات التي تجمع بينهما، وإن هذه الصفة، إما أن تكون بينة واضحة تدرك من غير تأويل وإعمال فكر. وإما أن تكون محصلة بضرب من التأويل.

وهذا التأويل يتفاوت من حالة إلى حالة، كما بين الإمام عبد القاهر ذلك بالأمثلة. يقول: "فمثال الأول تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجهه، بالحلقة في وجه آخر. وكالتشبيه من جهة اللون، كتشبيه الخد باللون... أو جمع الصورة واللون كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور... وكذلك التشبيه من جهة الهيئة نحو: أنه مستو منتصب مديد، كتشبيه الذهاب على الاستقامة بالسهم السديد، ومن تأخذه الأريحية فيهتز بالغصن تحت البارح ونحو ذلك، وكذلك كل تشبيه جمع بين شئيين فيما يدخل تحت الحواس"^(٢).

يقول الإمام عبد القاهر -مبيناً أن هذا الضرب من التشبيه بين غير مفتقر إلى تأويل- "فالتشبيه في هذا كله بين لا يجري فيه التأويل ولا يفتقر إليه في تحصيله، وأي تأويل يجري في مشابهة الخد للورد في الحمرة، وأنت تراها هنا كما تراها هناك؟ وكذلك تعلم الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل..."^(٣).

فعنده أن وجه الشبه في هذه التشبيهات بين لا يحتاج إلى تأويل، فالصفة التي تجمع بين المشبه والمشبه به في كل ما هو واقع تحت الحواس،

(١) أسرار البلاغة: الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني، المتوفى سنة ٤٧١هـ، تحقيق: محمد

الفضلي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٦٩.

(٢) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ص ٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٠.

أو مدارك من الغرائز والطباع، بيئة واضحة غير محتاجة إلى تأويل وإعمال فكر.

وضرب مثلاً للثاني: "وهو الشبه الذي يحصل بضرب من التأويل، كقولك: هذه حجة كالشمس في الظهور"^(١). وقد ساق التأويل في هذا المقال، وفحوى تأويله: أن الحجة الحقيقية واضحة ظاهرة بيئة كالشمس في الوضوح. وعن تفاوت التأويل يقول: "ثم أن ما طريقه التأويل يتفاوت تفاوتاً شديداً. فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ويعطي المقاده طوعاً...، ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجِه إلى فضل روية ولطف فكرة"^(٢).

وضرب مثلاً للأول -أي القريب المأخذ- "بقولهم في صفة الكلام: ألفاظه كالماء في السلاسة، وكالنسيم في الرقة، وكالعسل في الحلاقة"^(٣). وساق هذا التأويل في أن هذا الكلام محتاج إلى ضرب من التلطف في تبين الصفة التي جعلت الكلام يشابه الماء، والنسيم، والعسل. بأن بين صفات هذه الأشياء، وحاجة استخراجها إلى إعمال الفكر.

أما مثال ما يحتاج إلى مزيد من التأويل فقد ساق له كلام كعب الأشعري في قصته مع الحجاج وقد سأله عن بني المهلب... إلى أن وصل إلى قوله: "أيهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها"^(٤). يقول الإمام عبد القاهر: "فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقرة إلى فضل الرفق به عن الطبقة العامة. وليس كذلك تشبيه الحجة بالشمس، فإنه

(١) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧١.

(٣) المصدر، نفسه، ص ٧١.

(٤) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ص ٧٢.

كالمشترك البين الاشتراك، حتى يستوي في معرفة اللبيب اليقظ والمصنوف المغفل^(١).

"وهكذا تشبيه الألفاظ بما ذكرت قد تجده في كلام العامي. فأما ما كان مذهبه في اللطف مذهبه قوله "هم كالحلقة" فلا تراه إلا في الآداب والحكم المأثورة عن الفضلاء وذوي العقول الكاملة"^(٢).

جار الله محمود بن عمر الزمخشري:

لم يكن كتابه الكشف كتاباً يبحث في علم البلاغة العربية. وإنما كان مفسراً للقرآن الكريم، مبيناً ما فيه من إعجاز بلاغي وفير، مستتبهاً للمسائل البلاغية من خلال تفسيره للآيات القرآنية وهو "لم يعد من مؤلفي البلاغة. ويرى أن علمي المعاني والبيان من الوسائل العامة في تفسير القرآن الكريم وبيان ما فيه من روعة وإعجاز"^(٣).

فقد اهتم كثيراً بتطبيق القواعد البلاغية على أي الذكر الحكيم وإبراز ما فيها من أسرار الفصاحة والبلاغة. لكنه لم يعمل على تنظيم مسائل البلاغة وتبويبها كما فعلها بعض المتقدمين والمتأخرين.

فالتشبيه عنده مرادف للتمثيل، وقد صرح بذلك في تفسيره لكثير من الآيات القرآنية لأنه كان ينظر إلى معنى الوضع اللغوي. يقول: "المثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير، يقال: "مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه"^(٤).

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) البلاغة عند السكاكي: د. أحمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ص ٢٣٤.

(٤) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، شرحه وضبطه وراجعته: يوسف الحمادي، الناشر مكتبة مصر، ج ١، ص ٧٠.

وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(١).

الإمام فخر الدين الرازي:

جاء التشبيه عنده: "والنظر فيه يتعلق بالمتشابهين، والتشبيه، وما به التشبيه، وما لأجله التشبيه"^(٢). أما عن تعريفه للتشبيه يقول: "ما به التشبيه لا يخلو إما أن يكون صفة حقيقية أو حالة إضافية. والأول لا يخلو إما أن يكون كيفية جسمانية، أو صفة نفسانية، والأول لا يخلو إما أن يكون كيفية محسوسة أو لا تكون محسوسة، فإن كانت محسوسة، فإما أن تكون محسوسة أولاً وثانياً. والمحسوسات الأول فهي مدركات السمع والبصر والشم والذوق... أما إذا كان محسوساً ثانياً فالمحسوسات الثانية هي الأشكال والمقادير والحركات"^(٣).

فهو مفهوم واضح منضبط يستطيع القارئ أن يتلمس ماذا يريد الإمام الرازي أن يقول.

بعد أن ألقينا الضوء على مفهوم التشبيه عند بعض العلماء الذين تقدموا السكاكي، آن لنا أن نستعرض مفهوم التشبيه عند السكاكي، ومن ثم نقف عند تأثير من تقدموه على منهجه البلاغي. كما إننا سوق نتطرق إلى بعض معاصريه والمتأخرين منهم لنرى تأثيره عليهم. ومن أكثرهم تأثراً به وبمنهجه البلاغي.

فالتشبيه عنده هو مشاركة شيء لشيء آخر في أمر. يقول: "لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين، مشبهاً ومشبهاً به، واشتراكاً بينهما من

(١) سورة البقرة، الآية ١٧.

(٢) نهاية الإيجاز في دارية الإعجاز: الإمام فخر الدين الرازي، تحقيق ودراسة: الدكتور بكرى شيخ أمين، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ص ١٨٨.

(٣) نهاية الإيجاز في دارية الإعجاز: الرازي، ص ١٩٦.

وجه، وافتراقاً من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة، ويختلفان في الصفة، أو العكس، فالأول: كالإنسانين: إذا اختلفا صفة طولاً وقصراً. والثاني: كالطويلين إذا اختلفا حقيقة: إنساناً وفرساً. وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه، حتى التعيين يأبى التعدد. فيبطل التشبيه؛ لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً له بمشاركته المشبه به في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما، لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف^(١).
فهذا يعني أنه في التشبيه لا بد من وجود المشبه والمشبه به، مع وجود علاقة ما. غير أن السكاكي لا يحصر هذه العلاقة في اتجاه الاشتراك أو التماثل التام، وإنما لابد من أن تكون هناك عناصر تمايز ومفارقة. فلو كان التشابه من جميع الوجوه لكان الطرفان شيئاً واحداً.

لم يذكر السكاكي في تعريفه للتشبيه شيئاً عن الأداة - كما ذكرها أبو هلال العسكري - وإنما قال في تعريفه: "...إنما المحوج هو تفصيل الكلام في مضمونه، وهو طرفا التشبيه، ووجه التشبيه، والغرض في التشبيه، وأحوال التشبيه، ككونه: قريباً أو غريباً، مقبولاً أو مردوداً"^(٢).

فالتشبيه يتميز "بالخروج عن المألوف وبالقصير إلى إحداث الطرافة بالتخييل أو التمثيل، في حين تسعى المقارنة إلى إثبات الشبه بين طرفي المقارنة، ولا ينجم عنها تداخل بينهما كما يحدث في التشبيه"^(٣).

وقد تأثر السكاكي بعبد القاهر الجرجاني في تقسيم التشبيه من ناحية الحسية وعدمها، وزاد على الذين سبقوه في تفصيل وجه الشبه بعدة افتراضات وعكسها.

(١) مفتاح العلوم: أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، المتوفى سنة ٦٢٦هـ، حققه وقدم له وفهرسه الدكتور عبد الحميد هندراوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٤٣٩.

(٢) المفتاح: السكاكي، ص ٤٣٩.

(٣) دروس في البلاغة العربية: تأليف الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٥٠.

جاء السكاكي في القرن السادس الهجري فوجد تراثاً بلاغياً عظيماً، مبعثراً بين طيات الكتب. عكف على دراسته واستخلاص مسأله وإخراج غثه من سمينه. فخرج لنا بكتابه مفتاح العلوم والذي نال شهرةً واسعةً وأقبل عليه الدارسون من كل صوب يتدارسونه ويمحصون فيه كأنما البلاغة العربية انتهت عند ذلك. فكانت التلخيصات على مفتاح العلوم ولعل أولها من اختصره السكاكي نفسه بكتاب سماه "التبيان" لم يوجد له ذكر إلا في مقدمة ابن خلدون. بعد ذلك أشهر التلخيصات كتاب "تلخيص المفتاح" للخطيب القزويني.

يقول: "وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعاً، لكونه أحسنها ترتيباً وأتمها تحريراً وأكثرها للأصول جمعاً. ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد قابلاً للاختصار مفقراً إلى الإيضاح والتجريد، ألفت مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد. ولم آل جهداً في تحقيقه وتهذيبه ورتبته ترتيباً أقرب تناولاً من ترتيبه. ولم أبالغ في اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه وطلباً لتسهيل فهمه على طالبيه. وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها وزوائد لم أظفر في كلام أحد بالتصريح بها ولا الإشارة إليها. وسميته تلخيص المفتاح"^(١).

والذي تلتته الكثير من الشروحات على تلخيصه هذا. أشهرها شرح التفتازاني والسبكي وغيرهما.

ومن معاصريه ضياء الدين بن الأثير الذي كان يرى أنه لا فرق بين التشبيه والتمثيل يقول: "وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل،

(١) تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع: للخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، المتوفى سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م، قرأه وكتب حواشيه وقدم له الدكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٣٧.

وجعلوا لهذا باباً مفرداً، ولهذا باباً مفرداً، وهما شيئاً واحداً لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال: مثلته به، وما اعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه...^(١).

يتضح لنا أن ابن الأثير قد اختلف مع السلف في ذلك ولم نلمس أي أثر للسكاكي هنا، فتعريفه مختصر ودقيق.

أما مفهوم التشبيه عند صاحب المصباح بدر الدين بن مالك فهو أقرب تعريف إلى تعريف السكاكي بل هو بعينه مع حذف بعض الألفاظ بقصد التقصير والاختصار يقول: "اعلم أن: التشبيه يستدعي طرفين، واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر، وأنه لا يصار إليه إلا لغرض، وأن حاله تتفاوت في القرب والبعد والتوسط والقبول والرد"^(٢).

لذلك يعتبر كتابه المصباح نسخة مصغرة عن كتاب المفتاح مع وجود بعض الاختلافات الصغيرة.

ومن أهم الشروحات على مفتاح العلوم كتاباً تلخيص المفتاح والإيضاح للإمام الخطيب القزويني الذي هذب مسأله البلاغية ورتبها ترتيباً سهلاً سلساً.

فكان مفهومه للتشبيه من خلال تعريفه الآتي: "التشبيه لغة: التمثيل. اصطلاحاً: هو إلحاق شيء بآخر بينهما صفة مشتركة، أو هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ما من المعاني..."^(٣).

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٧هـ، تحقيق: محمد محي

الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ج ١، ص ٣٧٣.

(٢) المصباح في المعاني والبيان والبدیع: الإمام أبي عبد الله بدر الدين بن مالك الدمشقي الشير بابن

الناظم، المتوفى سنة ٦٨٦هـ، حققه وقدم له الدكتور عبد الحميد هنداوي، محمد علي بيضون،

دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ١٦٠.

(٣) التلخيص: الخطيب القزويني، ص ١٣٥.

ففي هذا نرى أن القزويني لم يخرج عن السكاكي إلا في اختصاره لتعريف السكاكي. فقد كان ملتزماً بمنهجه وتقسيماته - كما سيتضح لنا - غير أنه هذبه رتبته ترتيباً جيداً، مع أنه لم يضيف كثيراً إلى الأمثلة والشواهد التي جاءت عند السكاكي إلا. "ما أضافه ومن الأمثلة والنكت البلاغية التي أهملها السكاكي في كتب عبد القاهر وغيره، وما أضاف الخطيب القزويني نفسه من الملاحظات"^(١).

ومن الذين شرحوا "تلخيص المفتاح" للخطيب القزويني، أحمد بن علي بن عبد الكافي بهاء الدين أبو محمد السبكي يقول: "إن تلخيص المفتاح في علم البلاغة وتوابعها بإجماع من وقف عليه، واتفاق من صرف العناية إليه أنفع كتاب في هذا العلم صنف، وأجمع مختصر فيه على مقدار حجة ألف. ولم أزل مشغولاً بهذا الفن وله محباً"^(٢). فكان كتابه "عروس الأفراح في شرح تلخيص الفتاح" الذي ألفه بعد أن اطلع على كثير من المصادر، وبعد أن قرأ كتباً كثيرة قراءة تمحيص وإمعان. فكان هذا الكتاب خلاصة صافية ومزيجاً لبقاً بين البحوث الفلسفية والفنون الأدبية الذوقية، والروح الفنية الصادقة"^(٣).

يقول: "التشبيه في اللغة: جعل الشيء شبيهاً بآخر، والتشبيه الاصطلاحي ليس فيه ذلك، بل فيه ادعاء التشبيه، أو اعتقاده مجازاً عند وصفه بذلك، وهو قولك مثلاً: زيد كعمرو، وتسميته تشبيهاً مجازاً؛ لأنه نقل إليه من اعتقاد التشبيه، فلفظ التشبيه الاصطلاحي مجاز عن لفظ التشبيه اللغوي... الخ"^(٤).

(١) البلاغة عند السكاكي: د. أحمد مطلوب، ص ٣٧٥.

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: للشيخ بهاء الدين السبكي، تحقيق: د. عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص ٢٠.

(٣) البلاغة عند السكاكي: د. أحمد مطلوب، ص ٣٨٤.

(٤) عروس الأفراح: بهاء الدين السبكي، ج ٢، ص ٢٠.

ومن خلال عرضنا لمفهومه للمسائل البلاغية سنضع أيدينا على أثر المنهجية السكاكية في شروحه، وتتبع خطى السكاكي في عرضه وتقسيماته البلاغية.

أيضاً من شراح التلخيص مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، شرح التلخيص أولاً في كتابه "المطول" الذي غلبت عليه السكاكية المفعمه بالأصولية، ثم اختصره في كتاب سماه "المختصر" فكان من أهم كتبه البلاغية.

فناه في مفهومه للتشبيه يقول: "التشبيه: أي مطلق التشبيه سواء كان على وجه الاستعارة أو على وجه يتبنى عليه الاستعارة أو غير ذلك، ولهذا أعاد اسمه المظهر ولم يأت بالضمير، لئلا يعود إلى المذكور المخصوص، فالأمر في التشبيه الأول للعهد، وفي الثاني للجنس، وما يقال من أن المعرفة إذا أعيدت فهو عين الأول فليس على إطلاقه يعني أن معنى التشبيه في اللغة [الدلالة] هو مصدر قولك دللته فلاناً على كذا إذا هديته له يعني هو أن يدل [على مشاركة أمر لأمر] آخر [في معنى]... الخ"^(١).

نرى ههنا أنه غلبت عليه الصبغة السكاكية، وأثره واضحاً عليه، بل أنه غلب شيخه في التطويل وتكييف المسائل البلاغية لعلم الفلسفة الكلامية والأصولية.

كما أنه دائم الدفاع عن منهج شيخه وتأيدته في شتى المسائل وترجيح آراءه على من تقدموه، لا نعلم إن كان إعجاباً بمنهج شيخه أم للشهرة التي نالها كتابه؟.

ابن يعقوب المغربي مؤلف مختصر سعد الدين التفتازاني المسمى "مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح" يسير فيه على "خطوات السعد

(١) المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم: العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المتوفى سنة ٧٩٢هـ، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندراوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٥١٦.

التفتازاني ولا يحيد عن منهج السكاكي. وله بعض الآراء والردود ولكنها ليست إلا نتفا يسيرة متفرقة في صفحات الكتاب^(١).

فيما سبق وقفنا على مفهوم التشبيه عند بعض المتقدمين مروراً بالسكاكي -موضوع البحث- وانتهاءً ببعض المتأخرين والمتأثرين بالمنهج السكاكي. وفيما سيأتي سنقف على جهوده في علم البيان في تقسيماته للتشبيه، والاستعارة، والمجاز وأقسامه، والكناية. والجهود التي قام بها في هذا الفن البلاغي مع الاستعانة برأي من تقدموه. وإن كان قد خطا على نهجهم أم لا.

(١) البلاغة عند السكاكي: د. أحمد مطلوب، ص ٣٩٤.

المبحث الثاني أقسام التشبيه

رأينا أن السكاكي قد حصر أركان التشبيه في المشبه والمشبه به وجه الشبه والغرض في التشبيه وأحواله قائلاً: "إنما المحوج هو تفصيل الكلام في مضمونه، وهو طرفا التشبيه، ووجه التشبيه، والغرض في التشبيه هو أحوال التشبيه، ككونه: قريباً أو غريباً، مقبولاً أو مردوداً، فظهر من هذا أن لابد من النظر في هذه المطالب الأربعة"^(١).

أولاً: الطرفان "المشبه والمشبه به":

وهما المشبه والمشبه به: "إما أن يكونا مستنديين إلى الحس: كالخذ عند التشبيه بالورد، في المبصرات، والأطيط عند التشبيه بصوت الفراريج في المسموعات،... وإما أن يكونا مستنديين إلى العقل: كالعلم إذا شبه بالحياة، وإما أن يكون المشبه معقولاً، والمشبه به محسوساً: كالعدل إذا شبه بالقسطاس، وكالمنية إذا شبهت بالسبع: وكحال من الأحوال إذا شبهت بناطق أو بالعكس من ذلك: كالعطر إذا شبه بخلق كريم"^(٢).

نلاحظ هنا أن السكاكي لم يتحدث كثيراً كعادته في هذه المسألة وإنماء جاء كلامه موجزاً بسيطاً كما أننا قد لاحظنا استشهاده ببعض الأمثلة المذكورة عند الجرجاني^(٣)، غير أن الأخير قد تحدث عنها بوضوح أكثر في كتابه.

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٣٩.

(٢) السابق، ص ٤٤٠.

(٣) أسرار البلاغة: الجرجاني، ص ٦٩-٧٠.

كما تحدث عن الصورة الوهمية التي هي من صنع الخيال. وهي أن يصور العقل أشياءً ليست موجودة على أرض الواقع وليست ملموسة أو حسية، ك: افترست المنية فلاناً^(١).

تحدث صاحب المصباح عن الطرفين "المشبه والمشبه به" لكن لم يحدث أي تغيير على كلام السكاكي. بيد أنه اختصره وجمع ألفاظه في صياغة سلسلة، مستعيناً بنفس الأمثلة التي ذكرها السكاكي. فاتضح تأييده له. أيضاً الخطيب القزويني اتبع خطى السكاكي في هذا القسم، لم يصف إليه شيئاً، غير أيضاً أنه اختصر تعاريفه وشرحه.

أما السبكي فكان يرى الطرفين "المشبه والمشبه به" من منطلق فلسفي منطقي بحيث أنه جعل يفسر الألفاظ التي جاءت في سياغ التعريف: (طرفاه إما حسياً إلى آخره). يقول: "اعلم أن التشبيه لا يمكن أن يكون حسياً؛ لأنه تصديق على الصحيح خلافاً لمن قال: هو إنشاء، والتصديقات ليس شيء منها بحسي، فإن الحس إنما يدرك المفردات، فلينتبه لذلك، إنما طرفاه على أقسام جملتها مائتان وتسعة وثمانون سأذكرها إن شاء الله"^(٢).

مما لا شك فيه أن الشيخ السبكي كان مولعاً بمنهجية السكاكي وتقسيماته العديدة، فسلك طريقته في شرح وتعليل التعاريف. ففي الحسيات لا بد من تحقيق قواعد^(٣). جعلها على قسمين القسم الأول: "المدرک بالحس كقول في المصرات: خذ زيد كهذا الورد"، والقسم الثاني: جعل له أيضاً نوعان: الأول: "تكون تلك المادة كلية وجدت أفراد لها، كقولك: يعجبني خد كالورد؛ فإن الطرفين كليهما ليسا محسوسين؛ لأن الكلي لا يحس إنما المحسوس كثير من أفرادهما". ثم يسترسل في كلامه: "وقد يكون هذا القسم لم يوجد منه إلا فرد واحد كقولك: زيد قمر، فإن الثاني تكون المادة كلية لم يوجد شيء من

(١) المفتاح: ص ٤٠.

(٢) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ٣٤.

(٣) السابق نفسه، ص ٣٤.

إفرادها، كالمشبه به في قولك: شقيق كأعلام الياقوت فإن أعلام الياقوت كلية غير موجودة لكنها تسمى حسية باعتبارين... الخ" (١).

فخرج لنا من دهاليز ألفاظه وفلسفته بـ"أنه لا تكاد تجد تشبيها فيه الطرفان حسيان حقيقين إلا قليلاً" (٢).

فهو يرى أن: "إطلاق المحسوس على ذات لا تريد لونها مثلاً، بل تريد معناها العقلي، كان عقلياً لا حسيّاً، وإن أطلقتها على ذات تريد عرضها المدرك بالحاسة كان فيه توسع... الخ" (٣).

يقول: "وإن كان هذا مخالفاً لكلامهم، لأنهم جعلوا الطرفين حسيين وإن كان وجه الشبه بينهما عقلياً" (٤).

وفي تشبيهه (الريق والخمر) يرى السبكي أنه لا يمكن أن تشبه بالخمر في الطعم، لكن تشبه حالة الطرب الحاصل بالريق بنشوة الخمر، لأن هذا التشبيه يكون عقلياً وجدانياً لا حسيّاً، "فكان الأحسن أن يتمثل بالريق والشهد" (٤).

وشبهاً كثيراً من هذا القبيل إلى أن يصل في شرحه إلى الجزئية المتعلقة بالمراد الحسي. المدرك هو أو مادته -بإحدى الحواس الخمس الظاهرة؛ فدخل فيه الخيالي. كما في قول الشاعر:

وكان مـحـمـر الشـقـيـة * * * —————

أعلام ياقوت نشر * * * ن على رماح من زبرجد

فهو يرد على القزويني قوله بأن في هذا التشبيه تشبيهاً خيالياً (وهو

المركب من أمور كل واحد موجود يدرك بالحس، لكن هيئته التركيبية لم

(١) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ٣٥.

(٢) السابق نفسه والصفحة.

(٣) السابق نفسه، ص ٣٦.

(٤) السابق نفسه والصفحة.

توجد^(١). يرد عليه قائلاً: "إن أفراد المشبه به العلم والياقوت والرماح والزبرجد مدركة بالحس ليس بجيد؛ لأن الأفراد إنما هي أعلام من ياقوت ورماح من زبرجد، وهما خياليان. فليس له إلا مفردان. ثم أقول: كأن الشارح فهم أن المشبه الأعلام والرماح هو المتبادر إلى الذهن: وفيه نظر... الخ"^(٢). فهو يرى أن التشبيه هنا ليس خيالياً فقط، فالمشبه حسي، والمشبه به خيالي.

وفي قوله (عقليان) يرى السبكي أنه إذا كان قصده ما مثل لهما بالعلم والحياة. فهو صحيح. وهو مع قول الإمام فخر الدين الذي مثل لهما بالموجود والمعدوم.

وفي قوله (مختلفان) أي أن أحدهما حسي والآخر عقلي كما مثل لها السكاكي بالمنية والسبع. فهو يرى إن كان قصده المنية مشبه عقلي وهو صحيح، والمشبه به السبع من جهة الافتراس وهو حسي؛ غير صحيح لأنه لم يقصد من السبع لونه بل حقيقته العقلية.

لذلك يرى السبكي أن تشبيه السكاكي في العقليان (العلم إذا شبه بالحياة) والمختلفان في تشبيه المنية بالسبع والعدل إذا شبه بالقسطاس أنه قصد منه أن يكون المشبه جامداً ناطقاً. وفي تشبيه العطر والخلق الكريم عكس إذ أن المشبه العطر حسي، والمشبه به الخلق الكريم عقلي.

لكن السبكي اعترض على السكاكي في هذا التشبيه الأخير. قائلاً: "وقد يعترض عليه بأمرين:

أحدهما: أن العطر لا يشبه الخلق إنما يشبه رائحته بالخلق، وأن العطر نفس الطيب لا رائحته.

(١) تلخيص المفتاح: القزويني، ص ١٣٦.

(٢) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ٣٨.

الثاني: أن هذا من قلب التشبيه؛ فإنه إنما يشبه خلق الكريم بالعطر"^(١). ونحن ههنا نؤيد رأي السبكي، بشأن قلب السكاكي للتشبيه، فالصحيح أن يشبه خلق الكريم بالعطر. لا العكس.

أشار السبكي إلى خلاف العلماء حول جواز تشبيه المحسوس بالمعقول. وأن الجمهور على جوازه. وهو يرى أنه لا ضير في أن يكون الوجه خيالياً في المشبه به حسيّاً في المشبه. يقول: "وإن منعناه وجعلنا ما ورد منه من قلب التشبيه امتنع فإن عليه أن المشبه به لا بد أن يكون أوضح من المشبه والمعنى فيه أتم؛ لأنه كالأصل المستلحق والمشبه كالفرع الملحق"^(٢).

والوهميات المحضة^(٣)، والوهمي هو ما لم يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس. نحو قول امرئ القيس^(٤):

أيقناني والمشرفي مضاجعي ***
ومسنونة زرق كأنياب أغوال
فالأغوال وهي جمع غول من الأشياء الوهمية التي لا وجود لها.
أما ابن يعقوب المغربي فهو لم يخرج عن العقلية الكلامية عند السكاكي وكان يدور في فلك السبكي في شرحه لقضية الطرفان.

لكن التفتازاني في كلامه عن الطرفين وفي تشبيه المحسوس بالعقل تحديداً له وقفة. يقول: "إن تشبيه المحسوس بالعقل غير جائز؛ لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتبهة إليها؛ ولذلك قيل: من فقد حساً فقد علماً، يعني: العلم المستفاد من ذلك الحس، وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول،

(١) عروس الأفراح: السبكي، ج٢، ص ٤٠.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٢.

(٣) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٤٠.

(٤) امرئ القيس: حجر بن الحارث الكندي من بيت آكل المرار أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمني الأصل، ولد سنة ٤٩٧هـ، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندح، وقيل مليكة، وقيل عدي، كان أبوه ملك أسد وغطفان، ويعرف امرئ القيس بالملك الضليل، وذوي القروح، توفي سنة ٤٤٥هـ، الأعلام، للزركلي، ج٢، ط١٠، ص ١١.

فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً، وإن الأصل فرعاً وهو غير جائز؛ فلذلك لو حاول محاولة المبالغة في وصف الشمس بالظهور، والمسك بالطيب، فقال: الشمس كالحجة في الظهور، والمسك كخلق فلان في الطيب - كان سخفاً من القول. وأما ما جاء في الأشعار من تشبيه المحسوس بالمعقول، فوجهة أن يقدر المعقول محسوساً، ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على طريق المبالغة، فيصح التشبيه حينئذ^(١).

غير أننا قد وجدنا هذا الرأي منقولاً عن فخر الدين الرازي في كتابه^(٢). كما أن السكاكي نقل معظم الأمثلة التي ذكرها الرازي. **ثانياً: وجه الشبه:**

من المسائل التي أثارها السكاكي ونال حظاً وافراً من الشرح والتطوير، وإخضاعه للمنطقية الفلسفية.

ولأن حقيقة التشبيه عنده غير محصورة في المقارنة والمماثلة. فهو يرى أن وجه الشبه لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال العملية العقلية أو التخيلية، وأن الظن بأنه يمكن أن يكون حسياً محاكياً للصورة الحسية التي ينتمي إليها المشبه أو المشبه به بعيد عن القبول، ولا يتفق مع حكمة العقل. يقول: "إن التحقيق في وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلي، وذلك أنه متى كان حسياً، وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً في الطرفين، وكل موجود فله تعين، فوجه الشبه مع المشبه متعين، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به، لامتناع حصول المحسوس ههنا. مع كونه بعينه هناك، بحكم ضرورة العقل"^(٣).

فإذا كانت الصفة الحسية في المشبه، والصفة الحسية في المشبه به متماثلين وليستا حقيقة واحدة فإن "المتلين لا يكونان شيئاً واحداً، ووجه الشبه

(١) المطول: سعد الدين التفتازاني، ص ٥١٨.

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين الرازي، ص ١٩٠.

(٣) المفتاح: السكاكي، ص ٤٤٢.

بين الطرفين كما عرفت واحد، فيلزم أن يكون أمراً كلياً مأخوذاً من المثليين بتجريدهما عن التعيين"^(١).

السكاكي لا ينفي وجود وجه الشبه الحسي مطلقاً، وإنما ينفي وجود وجه شبه حسي يطابق الصفة في المشبه أو في المشبه به. فوجه الشبه الذي يؤخذ من الجزئيات الحسية ويركب عن طريق التخيل فهو أقوى من وجه الشبه العقلي المجرد، لذلك يقول: "إن ميل النفس إلى الحسيات أتم منه إلى العقليات، وأعني بالحسيات ما تجرده منها بناء على متناع النفس من إدراك الجزئيات وعلى ما نبهت عليه، وزيادة ميلها إليها دون غيرها من العقليات لزيادة تعلقها بها بسبب تجريدها إياها بقوة العقل ونظمها في سلك ما عداها"^(٢).

بالتالي إن وجه الشبه ليس هو صفة معينة موجودة في الواقع، يمكن أن تلمسها أيدينا من خلال التشبيه، وإنما هي صفة مركبة في الذهن عن طريق التخيل تكون صورة مبتكرة غير معروفة في ذهن المتلقي.

لذلك لا بد أن يكون هنالك اشتراك بين المشبه والمشبه به في الحقيقة يقول: "النظر في وجه التشبيه لما انحصر التشبيه بين أن يكون الاشتراك بالحقيقة، والاتصاف بالصفة تارة، مثل جسمين: أبيض وأسود، وكذا مثل أنف ومرسن... الخ"^(٣). فهو يقصد هنا وجه الشبه الحسي، باعتبار الألوان من المحسوسات البصرية والأنف من المحسوسات الملموسة.

والاشتراك يكون عقلياً: "والعقلي أيضاً لما انحصر بين حقيقي: كالكيفيات النفسانية، مثل الاتصاف بالذكاء والتيقظ،... وبين اعتباري ونسبي: كاتصاف الشيء بكونه مطلوب الوجود أو العدم عند النفس، أو بكونه

(١) المفتاح: السكاكي، ص ٤٤٢.

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٥٩.

(٣) السابق نفسه، ص ٤٤٠.

مطموعاً فيه، أو بعيداً عن الطمع، أو بشيء تصويري وهمي محض"^(١). هو دائم التركيز على الصورة الوهمية المخترعة من العملية العقلي. وأيضاً هنالك اشتراك آخر بين المشبه والمشبه به هو أن يشتركان في الصفة ويفترقان في حقيقتها. ثم قسمه إلى عدة تقسيمات سنأخذ كل قسم منها على مدى. أولاً: وجه التشبيه واحداً:

والواحد هذا إما يكون حسياً أو عقلياً. وفي الحسي يشترط أن يكون الطرفان حسيان لأن المحسوس لا يدرك بغير المحسوس. فالحس: كتشبيه الخد إذا شبه بالورد في الحمرة. والعقلي والذي طرفاه معقولان، كالرجل إذا شبه بالأسد في الجراءة. أشار السكاكي إلى أن التشبيه بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه الحسي يقول: "تسمع علماء هذا الفن رضوان الله عليهم أجمعين، يقولون: "أن التشبه بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه الحسي"^(٢). فهو مؤيداً لهذه المقولة وذلك لأن وجه الشبه عنده لا يمكن إلا من خلال العملية العقلية التحليلية. وذلك من خلا قوله: "والتحقق في وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلي..."^(٣). بيد أن السبكي يرى أن: "أصل الاعتراض الذي أورده السكاكي على نفسه وأجاب عنه فاسد الوضع؛ لأن القول بأن وجه الشبه حصول المثليين، يقضي بأنه عقلي؛ لأن حصول المثليين أيضاً عقلي لا حسي فإن عني به أن الوجه لا يشترط أن يكون واحداً مشتركاً بينهما، فلا حاجة إلى العدول عن الحس"^(٤).

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٤١.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٤١.

(٣) السابق نفسه، ص ٤٤٢.

(٤) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ٥٣.

ثانياً: وجه التشبيه غير واحد:

سماه وجه التشبيه غير واحد ولكنه جعله في حكم الواحد وقسمه إلى نوعين: حسي، وعقلي أيضاً.

الحسي مثل له بسقط النار إذا شبه بعين الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة، والشكل الكروي، والمقدار المخصوص في قول ذي الرمة:

وسقط كعين الديك عاورت صحبتي *** أباهاً وهيأنا لموضعها وكرأاً^(١)

وأيضاً بالثريا إذا شبهت بعنقود الكرم النور في الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصفار المقادير في المرأى على كيفية مخصصة إلى مقدار مخصوص. والشمس إذا شبهتها بالمرآة في كف الأشل في الهيئة الحاصلة التي تؤديها من الاستدارة مع الإشراق، والحركة السريعة. وبتموج الإشراق: "إذ شبهة بالبوتقة التي فيها ذهب ذائب في الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع صفاء اللون، واتصال الحركة، وشبه مراوحيه المتحرك بين انبساط وانقباض وذلك في قول الشاعر:

والشمس من مشرقها قد بدت *** مشرقة ليس لها حاجب

كأنها بويقة أحميت *** يجول فيها ذهب ذائب^(٢)

أيضاً تشبيه الهيئة الحاصلة في الحركة الناتجة عن النقع الأسود أي الغبار الكثيف والسيوف البيض متفرقات فيه وذلك في قول الشاعر:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا *** وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه^(٣)

وفي تشبيه الهيئة الحاصلة من النجوم البيض المتلائمة في جوانب من

أديم السماء، الملقية قناعها عن الزرقة الصافية، بالهيئة الحاصلة المستطرفة

من درر منثورة على بساط أزرق وذلك في قوله:

(١) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ص ١٢١.

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٤٣.

(٣) السابق نفسه، ص ٤٤٤.

وكان النجوم لوامعاً *** درر نثرت على بساط أزرق^(١)
وتشبيه الهيئة الحاصلة من المريخ والمشتري قدامة بالهيئة الحاصلة
من المنصرف عن الدعوة مسرج الشمع من دونه. وذلك في قوله:
كأنما المريخ والمشتري *** قدامه في شامخ الرفعة
منصرف بالليل عن دعوة *** قد أسرجت قدامه شمعة
فهو يشير إلى أن هذه الأمثلة التي أوردها فيها تشبيه مفرد بمفرد
وتشبيه مركب بمركب. لكنه يرى أنه لا يستطيع أن يفرق بينها إلا من كان
سليم الطبع وصافي القريحة.

فيما سبق وجدنا أن السكاكي وفي هذا التقسيم ذا المسمى الغريب لم
يخرج عن كلام عبد القاهر الجرجاني وإنما أفرغه عن قالب الأدبي الرفيع،
وأن كان هو يتحدث عن وجه الشبه والهيئة الحاصلة عنه. وإنه قسمه كما
قسمه عبد القاهر إلى حسي وعقلي لكن الجرجاني ساغ ذلك بأسلوب الأديب
يقول: "اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي
تقع عليها والحركات. والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين: أحدهما: أن
تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما. والثاني: أن تجرد هيئة
الحركة حتى لا يراد غيرها..."^(٢).

كما أن السكاكي استشهد بمعظم الشواهد التي أوردها الجرجاني.
والعقلي مثل له بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ
حَسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ تَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ
وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣). في المنظر المطمع مع المخبر المؤيس.

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٤٤.

(٢) أسرار البلاغة: الجرجاني، ص ١٣٥.

(٣) سورة النور، الآية ٣٩.

وسار على خطاه في هذا المضمار صاحب المصباح ولم يخرج عما أورده السكاكي بل أتى به مختصراً وبمعظم ألفاظه وأمثلته.

أم السبكي وفي تقسيمات وجه الشبه يرى أنه قد أهمل وجه الشبه الخيالي لدخوله: الحسي، والوهمي، والوجداني قد أهمل أيضاً لدخولهما في العقلي. وأن السكاكي قد قسم المركب إلى ما هو حقيقته ملتئمة، وأوصاف عديدة قصد مجموعها في هيئة واحدة.

وأن في تقسيمه أوجه الشبه من حيث التعدد المختلف الذي بعضه حسي وبعضه عقلي غير صحيح، والصحيح أن المتعدد وجهان لا وجه واحد. ثم أن قصد السكاكي من التركيب، تركيب الأجزاء غير المحمولة، وليس المراد به ما يحصل في الأنواع من تركيب الفصول على الأجناس. أما عن وجه الشبه في الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروي، والمقدار المخصوص، الذي أورده السكاكي بالنسبة لوجه الشبه المستند إلى الحس فهو -السبكي- يرى أن فيه أوجه متعددة كل مستقل بذاته.

ثالثاً: وجه التشبيه ليس واحداً وليس في حكم الواحد:

فقد جعل السكاكي هذا القسم الثالث في تقسيمه لوجه الشبه، والثالث هذا أيضاً قسمه إلى ثلاثة أنواع:

الأول: كما إذا شبهته فالجهة بأخرى، في لون وطعم ورائحة.

الثاني: إذا شبهت بعض الطيور بالغراب في حدة النظر... الخ.

الثالث: كما إذا شبهت إنساناً بالشمس في حسن الطلعة... الخ^(١).

غير أن السبكي في تشبيه بعض الطيور بالغراب في حدة النظر... الخ. يرى "أن مدة النظر قد يقال: أنه حسي لا عقلي؛ لأن النظر هو تصويب الحدقة إلى المنظور يدرك بالنظر، وحدته متصل به، وكذلك إخفاء

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٤٦.

السفاد، قد يقال: أنه حسي، وأما الحذر فعقلي؛ لأن محله القلب، ويستدل عليه بأثره الظاهر^(١).

أما التفتازاني الذي سلك طريق السكاكي وانتهج منهجه، فقد عاب على شيخه السكاكي كثر التفريع والتقسيم. مع العلم أنه أسهب كثيراً في شرحه لوجه الشبه. وقضى بأنها أقسام قليلة الجدوى.

ونحن نؤيده في هذه الجزئية وإن كان هو ليس بأفضل من السكاكي في التشعيب والتطويل - فكان الأجدى أن يكون تقسيمه لوجه الشبه، مفرداً، ومركباً، ومختلف من حيث التشبيه الحسي والعقلي.

ونلاحظ أن العلماء الذين جاءوا بعد السكاكي والذين تأثروا بمنهجه قد أوردوا عدة تقسيمات أخرى لم ترد عند السكاكي فالخطيب القزويني وبهاء الدين السبكي وابن يعقوب المغربي، تحدثوا عن تشبيه المفرد بالمقيد بالمفرد المقيد، والمفرد بالمفرد المقيد أو بالعكس، وأيضاً تشبيه المفرد بالمركب، أو المركب بالمفرد، والمتعدد بالمتعدد، أو المفرد بالمتعدد أو بالعكس.

فالسبكي يرى: "بأن تشبيه المركب والمفرد المقيد بالمفرد والمقيد لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر في اللفظ بل في المعنى"^(٢). لذلك لا يمكن أن نتحكم في المعنى لأنه مشبع بعدة احتمالات. وقد أشار المغربي إلى ذلك: "والفرق بين المركب والمفرد المقيد أحوج شيء إلى التأمل فكثيراً ما يقع الالتباس"^(٣). لذلك قيل: "أن هذا الفن إذا التبس فيه باب بباب لم يفصل بينهما إلا الذوق... والأذواق تختلف ولا تضبط"^(٤).

(١) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ٦٥.

(٢) السابق نفسه، ص ٩٣.

(٣) مواهب الفتاح: المغربي، ج ٢، ص ١٤١.

(٤) السابق نفسه والصفحة.

لذلك نرى تضارب أقوالهم -البلاغيين- حول مفهوم كل واحد منهم
للصورة الفنية البلاغية. هل هي مركب بمركب؟ أم مفرد بمقيد؟ فمثلاً السبكي
يعلق على قول الشاعر:

وكان أجرام النجوم لوامعاً *** درر نثرن على بساط أزرق
يقول: "وأما قوله وكان أجرام النجوم لوامعاً فيظهره أنه مركب بمركب
لأن المقصود تشبيه هيئة بهيئة، كما قال المصنف، وإن كان يحتمل أن يكون
تشبيه مفرد مقيد بمفرد مقيد" (١).

أما ما عده السكاكي في تشبيه المفرد بالمفرد متمثلاً في قول الشاكر:
كان قلوب الطير رطباً ويابساً *** لدى وكرها العناب والحشف البالي (٢)
فالمغربي يرى أنه: "جزم بكون هذا التشبيه من المتعدد، لأنه ليس
لوجود الرطل واليابس هيئة يعتد بها ويستحسنها الذوق أو يسترطفها السامع
وإن اجتمعا في الوكر حتى يكون من المركب...". (٣)
وهو هنا يخالف السكاكي.

فالسبكي أيضاً يعد التشبيه في قول الشاعر:
وكان محمر الشقيق *** إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر *** ن على رماح من زبرجد
يعده تشبيه مركب بمركب لأن الشقيق مراد به هو سواعده فبالتالي هم
حقيقة واحدة، "والمراد بالمركب ما كان هيئة حاصلة من حقيقتين متفاصلتين
يجتمعان" (٤).

(١) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ٩٥.

(٢) المفتاح: السكاكي، ص ٤٤٥.

(٣) مواهب الفتاح: المغربي، ج ٢، ص ١٤٥.

(٤) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ٩٦.

وبالرغم من ذلك فإن تقسيماتهم هذه م تخرج عن التقسيم الذي حدده صاحب المفتاح، وكل أولئك يدور في فلكه مع اختلاف مفاهيم وأدواقهم وتحليلهم للنص البلاغي.

ثالثاً: الأداة:

لا نعلم لماذا لم يذكر السكاكي شيئاً عن أداة التشبيه في خلال تعريفه له. فهو بخلاف من سبقه من البلاغيين، كما أنه لم يدرجها في أركان التشبيه. فأبو هلال العسكري أشار إليها بوضوح في تعريفه للتشبيه حيث قال: "التشبيه الوصف بأن أحد الموصفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب"^(١). مع العلم أنه لا يشترط ظهورها في صياغ الكلام فيقول: "وقد يكون التشبيه بغير أداة التشبيه"^(٢). وابن رشيق يرى أن: "أصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها أو كأن وما شاكلها"^(٣). وفي خلال تحليلاته النقدية للنص يشير إلى الأداة نوعها، حضورها وغيابها. أما ابن سنان الخفاجي فيجمع القولين السابقين في وضوح يقول: "وقد يكون التشبيه بحروفه كالكاف وكان وما يجري مجراهما، وقد يكون بغير حرف على ظاهر المعنى ويستحسن ذلك لما فيه من الإيجاز"^(٤).

يعني أنه يؤيد حذفها. وعبد القاهر يرى أن الكاف، وكان، ومثل أدوات التشبيه يعرف بها: "فالتشبيه معنى من المعاني، له حروف وأسماء تدل عليه"^(٥). وهو يرى أن الأداة لا تكون مرتكزاً أساسياً في التشبيه لأن التشبيه يعتمد على الطرفين، وذكرها وحذفها لا يعني كثيراً.

(١) الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص ١٨٥.

(٢) السابق نفسه، ص ١٩٢.

(٣) العمدة: ابن رشيق القيرواني، ص ٢٣٧.

(٤) سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص ٢٣٥.

(٥) أسرار البلاغة: الجرجاني، ص ١٨٠.

يعني أن المتقدمين عن السكاكي لم يهلوا أداة التشبيه بل ذكروها: يقول: "ولما فرغنا من أركان التشبيه فلنشرع في أحكامه"^(١). ثم يقول: "للتشبيه حروف وألفاظ تدل عليه"^(٢).

بخلاف الفخر الرازي. الذي أشار إليها إشارة عابرة. فالسكاكي يرى أنه لا ضرورة من ذكر الأداة، فغيابها لا يؤثر في الصورة التشبيهية يقول: "واعلم أن ليس من الواجب في التشبيه ذكر كلمة التشبيه، بل إذا قلت: زيد أسد واكتفيت بذكر الطرفين عد تشبيهاً، مثله إذا قلت: كأن زيدا الأسد اللهم إلا كونه أبلغ"^(٣).

كما أنه يشير إلى أن فقدها لا يؤثر إلا ظاهرياً، يقول: "وإذا عرفت أن وجود طرفي التشبيه يمنع عن حمل الكلام على غير التشبيه، عرفت أن فقد كلمة التشبيه لا تؤثر إلا في الظاهر"^(٤).

وبالرغم من أن السكاكي والرازي تناسيا ذكر الأداة، إلا أن من جاء بعدهم من البلاغيين أخذوها بعين الاعتبار فجعلوا يتحدثون عنها ويفصلون فيها القول. كسابقهم من العلماء، فالخطيب القزويني يؤكد على أن أحد أركان التشبيه هو الأداة، ثم أخذ يقول عنها: "وأما أدواته فالكاف في نحو قلوك: زيد كالأسد، وكأن في قولك: زيد كأنه أسد، ومثل نحو قولك: زيد مثل الأسد، وما في معنى كلفظة نحو وما يشتق من لفظة مثل وشبه ونحوهما"^(٥).

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الفخر الرازي، ص ١٥٥.

(٢) السابق نفسه، ص ١٥٥.

(٣) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٦٣.

(٤) السابق نفسه والصفحة.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، ص ٢١٠.

وأيضاً تناولها السبكي بشيء من التفصيل. فقال: "أن كل ما كان بمعنى
مثلاً وشبه أداة تشبيه فمن أدوات التشبيه الكاف، وكأن، وياء النسب، ومثل،
ومثيل، وشبه وشبيه..."^(١).

(١) عروس الأفراح: السبكي، ج٢، ص ٦٨.

المبحث الثالث الغرض من التشبيه

تناول السكاكي أغراض التشبيه لأن: "التشبيه لا يصار إلا لغرض"^(١)، فقد رد بعض هذه الأغراض إلى المشبه والبعض الآخر إلى المشبه به. أولاً: الغرض العائد إلى المشبه:

لبيان حاله، كقولك: "ما لون عمامتك؟ فقلت: كلون هذه. وأشارت إلى عمامة لديك"^(٢). أو لبيان إمكان وجوده "كحال المسك، الذي هو بعض دم الغزال وليس يعد في الدماء، لما اكتسب من الفضيلة الموجبة إخراجها إلى نوع أشرف من الدم"^(٣)، كما في قول المتنبي:

فإن تقف الأنام وأنت منهم *** فإن المسك بعض دم الغزال
وذلك: "إذا كان المشبه حالة غريبة ربما تدعى الاستحالة فيها، فتلحق بحالة مسلمة إلا مكان لوقوعها في وجه جامع لهما، وهو منشأ تلك الغرابة فيسلم إمكان المدعي"^(٤)، وهو عنده يعد من باب تشبيه مركب بمركب. أو يكون لتقوية شأنه في نفس السامع: "قلت: هل أفاد رقمي على الماء نقشاها: إنك في سعيك هذا كرقمي على الماء"^(٥). في تقرير أنه لا يحصل في سميته هذا على طائل.

أو يكون لإبرازه إلى السامع في معرض التزيين أو التشويه، أو الاستطراف، والتزيين والتشويه: "كما إذا شبهت وجهاً أسوداً بمقلة الطيبي إفراغاً له في قالب الحسن، ابتغاء تزيينه، أو كما شبهت وجهاً مجروراً بسلحة

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٣٩.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٤٨.

(٣) السابق نفسه والصفحة.

(٤) مواهب الفتح: المغربي، ج ٢، ص ١١٥.

(٥) مفتاح العلوم: ص ٤٤٨.

جامدة، وقد نقرتها الديكة، إظهاراً له في صورة أشوه؛ إرادة ازدياد القبح والتغير"^(١).

وكون المشبه به نادر الحضور في الذهن هذا وجه آخر للاستطراف عنده. مثل لها بقول الشاعر:

ولازوردية تزهو بزرققتها *** بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قاماتٍ ضعفن بها *** أوائل النار في أطراف كبريت
"فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت ليست مما يمكن أن يقال:
أنها نادرة الحضور في الذهن، نادرة صورة بحر من مسك موجه الذهب.
وإنما النادر حضورها مع حديث البنفسج، فإذا أحضر إحضاراً مع الشبه
استطراف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى نارهما"^(٢).

فيخلص المغربي إلى أن: "المستطرف حينئذ في الحقيقة هو القرآن بين صورتين متباعدين لا المشبه، اللهم إلا أن يقال لما تعلق بالمشبه كالمشبه به نسب إليه"^(٣).

ثانياً: الغرض العائد إلى المشبه به:

يصبح المشبه مشبهاً به وبالعكس. ومرجع ذلك: "إيهام كونه أتم من المشبه في وجه التشبه كقوله:

فإنه تعمد إيهام أن وجه الخليفة في الوضوح أتم من الصباح"^(٤).

وفي قول الشاعر:

وبدا الصباح كأن غرته *** وجه الخليفة حين يمتدح

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٤٨.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٤٩.

(٣) مواهب الفتاح: المغربي، ج ٢، ص ١٢٧.

(٤) المفتاح: ص ٤٥١.

فإنه لما رأى استمرار وصف الأخلاق بالضييق وبالسعة، تعمد تشبيه الأرض الواسعة بخلق الكريم، ادعاء أنه في تأدبه معنى السعة أكمل من الأرض المتباعدة الأطراف^(١).

أيضاً مثل بالآية الكريمة عن مستحل الربا. قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا أَلْبِيعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾^(٢). فالكلام في الربا لا في البيع. "ذهاباً منهم إلى جعل الربا في باب الحل أقوى حالاً وأعرف من البيع"^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ تَخَلَّقُ كَمَنْ لَا تَخَلُقُ﴾^(٤). فالسكاكي يرى أن البلاغة القرآنية ههنا تقتضي بأن المراد (بمن لا يخلق) "الحي العالم القادر من الخلق لا الأصنام، وأن يكون الإنكار موجهاً إلى توهم تشبيه الحي العالم القادر من الخلق به تعالى، وتقديس عن ذلك علواً كبيراً، تعريضاً به عن أبلغ الإنكار لتشبيهه ما ليس بحي عالم قادر به تعالى، ويكون قوله: (أفلا تذكرون) تشبيه توبيخ على مكان التعريض"^(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(٦). اعترض السبكي على كلام السكاكي في قوله: "بدل أريت من اتخذ هواه إلهه مصبوب في هذا القالب"^(٧). يرى السبكي: "أن هذا ليس بتشبيه، لأن قولك: اتخذ هواه إلهه ليس معناه مثل إلهه، بل معناه اتخذ هواه معبوده فهو كقولك: اتخذت زيدا مكرماً،

(١) المفتاح، ص ٤٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٣) المفتاح: ص ٤٥٢.

(٤) سورة النحل، الآية ١٧.

(٥) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٥٣.

(٦) سورة الفرقان، الآية ٤٣.

(٧) المفتاح: ص ٤٥٣.

فليس تشبيها ولا استعارة... الظاهر أن السكاكي أراد أنها مصبوبة في قالب مطلق القلب الصادق على جعل المفعول الأول ثانياً والثاني أول^(١).

وهنا أيضاً لم يخرج السكاكي كثيراً عما جاء عند عبد القاهر الجرجاني والرازي، غير أن الأخير قد فصل في أغراض التشبيه أكثر من السكاكي ولقد وجدنا أن الأمثلة التي استشهد بها السكاكي موجود معظمها عند الجرجاني والرازي.

كما جاء عند السكاكي أن كان المشبه به أهم عند المشبه يسمى هذا إظهار المطلوب: "ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسني المطلوب"^(٢). ومثل أيضاً بما "يحكى عن صاحب، رحمه الله، أن قاضي سجستان دخل عليه ... حتى قال: وعالم يعرف بالسجزي.

وأشار إلى الندماء أن ينظموا على أسلوبه... فقال:

أشهى إلى النفس من الخبر.... الخ"^(٣).

اعترض عليه السبكي في ذلك وذكر أن هذا أفعال تفضيل، لا تشبيه، وذلك في أمرين:

أحدهما: أنه ليس المراد أنه تشبيه بل تمثيل؛ لأن الإنسان يسري ذهنه لما فيه.

والثاني: أنه قد يجعل أفعال التفضيل كله تشبيها كما تقدم عن الطيب^(٤).

أما أسباب بعده وغرابته: (وهو الذي لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه في بادئ الأمر)^(٥).

١- أن يكون المشبه به بعيد التشبيه عن المشبه.

(١) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ٨٥.

(٢) المفتاح: ص ٤٥٣.

(٣) السابق نفسه، ص ٤٥٤.

(٤) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ٨٦.

(٥) الإيضاح: القزويني، ص ٢٣٦.

٢- أو أن يكون المشبه نادر الحضور في الذهن.

٣- أو أن يكون المشبه نادر الحضور في الذهن.

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي *** وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ^(١)
"وفيه نظر: ينبغي أن يقول: غير غالب، لأن القريب ما كان غالباً،
والبعيد بخلافه، وخلاف الغالب أعم من النادر"^(٢).

أو مركباً خيالياً كما في قوله:

كَأَنَّ مَحْمَرِ الشَّقِيقِ *** إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ
أَعْلَامَ يَاقُوتِ نَشْرَنِ *** عَلَى رِمَاحِ مَنْ زَبْرَجَدِ^(٣)

أو مركباً عقلياً كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ

أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا
أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنْتَ وَظُنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَتْهَا أَمْرُنَا لَيْلًا
أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ^(٤).

فقد أقر السكاكي بأن: "كلما كان التركيب خيالياً كان أو عقلياً، من أمور

أكثر، كان حاله في البعد والغرابة أقوى"^(٥).

إذن فالسكاكي انتقى مما عند عبد القاهر الجرجاني والفخر الرازي من
بلاغة وأسلوب أدبي رفيع وقام بتشكيلها وصبها في قالب الفلسفي المتكلم،
فهو لم يضيف إليهما سوى التعقيد والتشعب وكثرة التقسيم. وجاراه في ذلك

(١) المفتاح: السكاكي، ص ٤٦١.

(٢) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ١٠٨.

(٣) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٦١.

(٤) سورة يونس، الآية ٢٤.

(٥) المفتاح: ص ٤٦٢.

من جاءوا بعده، فالتشبيه وما فيه من عمق وتصور جميل فقد بريقه لكثرة تمحيصهم وتنقيبهم عن معان جافة وألفاظ فلسفية، كل يستعرض مواهبه الكلامية ومخزونه من الألفاظ والمسميات. ففي اطلاعك على شروح التلخيص وخصوصاً في باب التشبيه تجد كلاماً هو أقرب لعلم المنطق منه إلى البلاغة الرقيقة. ربما كان ذلك لأن كل من شرح تلخيص المفتاح، كان يصبو إلى أن يجارى صاحب المفتاح في منهجيته. لا يضيف سوى بعض العبارات أو الانتقادات التي هي مرجئها تعود إلى الذوق. لا تخدم جوهر الموضوع، لم نذكرها تفصيلاً.

المبحث الرابع تشبيه التمثيل

جاء بحث السكاكي لتشبيه التمثيل من ضمن التشبيه، فهو لم يفرد له مبحثاً خاصاً. كما أن تعريفه له كان تعريفاً دقيقاً ويكاد يكون منفرداً برأيه حول تشبيه التمثيل. فكثير من البلاغيين يعدون أن الصور التشبيهية المركبة هي تشبيه تمثيل. غير أن السكاكي خالفهم في هذا فهو يرى: "أن التشبيه متى كان وصفاً غير حقيقي، وكان منتزعاً من عدة أمور، خص باسم التمثيل"^(١).

فهو هنا خالف عبد القاهر الجرجاني، فالتمثيل عند الأخير: "هو ما كان الشبه فيه عقلياً مفرداً أو مركباً وكان محتاجاً إلى التأويل"^(٢).

أما خلافه مع الزمخشري فيتمثل في أن صاحب الكشاف يرى أنه لا فرق بين التشبيه والتمثيل. يقول: "المثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظري، يقال: مثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه"^(٣). فهو عنده مرادفاً للتمثيل أي التشبيه، وقد عبر عن ذلك في تفسيره لكثير من الآيات نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ

كَصِيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾^(٤). ونحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٥).

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٥٥.

(٢) انظر أسرار البلاغة، ص ٨٧-٨٩.

(٣) الكشاف: الزمخشري، ج ١، ص ٧٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٧.

وكان معاصر السكاكي ابن الأثير يؤيد قول الزمخشري ويرى أنه لا فرق بين التمثيل والتشبيه حيث يقول: "وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا لهذا باباً منفرداً ولهذا باباً مفرداً، وهما شيئاً واحداً لا فرق بينهما في أصل الوضع. يقال: شبهت هذا بهذا الشيء كما يقال مثلت به. وما اعلم كيف ففي ذلك على أولئك العلماء مع وضوحه وظهوره" (١).

أما مفهوم السكاكي لتشبيه التمثيل وقصده من "الوصف غير الحقيقي" أنه وصف يتم تركيبه في الذهن عن طريق التخيل، أو التوهم كما يطلق عليه. لذلك فقد جاء في تحليله لبعض النصوص في تشبيه التمثيل تبيناً لوجه التوهم فيها. ومن الأمثلة التي ذكرها وحللها الشاعر:

اصبر على مضض الحسود *** فإن صبرك قاتله
والنار تأكل بعضها *** إن لم تجد ما تأكله

فيرى: "أن تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنار التي لا تمد بالحطب، فيسرع فيها الغناء ليس إلا في أمر متوهم له، وهو ما تتوهم إذا لم تأخذ معه في المقابلة، مع علمك بتطلبه إياها، عسى أن يتوصل بها إلى نفثة مصدر، من قيامه إذ ذاك مقام أن تمنعه ما يمد حياته ليسرع فيه الهلاك وأنه كما ترى منتزع من عدة أمور؛ أو كالذي في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢).

فإن وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الآية هو رفع الطمع إلى تسني مطلوب بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب، وأنه أمر توهمي كما ترى منتزع من عدة أمور جملة" (٣).

(١) المثل السائر: ابن الأثير، ج ١، ص ٣٨٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧.

(٣) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٥٦.

ومثل لحذف المضاف والمضاف إليه بقول الشاعر:

أَسْأَلُ الْبَحَارَ فَاَنْتَحَى لِلْعَقِيقِ

وفي وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ
الْحِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(١). فوجه التشبيه بين أحبار اليهود الذين كلفوا العمل
بما في التوراة، ثم لم يعملوا بذلك، وبين الحمار الحامل للإسفار، هو حرمان
الانتفاع بما هو أبلغ شيء بالانتفاع به [مع] الكد والتعب في استصحابه، وليس
بمشتبه كونه عائداً إلى التوهم مركباً من عدة معان...^(٢).

وقول الشاعر:

كَمَا أُبْرِقَتْ قَوْمًا عَطَاشًا غَمَامَةً *** فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ
"إِذَا أَخَذَتْ تَنْتَزِعُ وَجْهَ التَّمَثِيلِ مِنْ قَوْلِهِ: "كَمَا أُبْرِقَتْ قَوْمًا عَطَاشًا
غَمَامَةً، فحسب، نزلت عن غرض الشاعر من تشبيهه بمراحل؛ فإن مغزاه أن
يصل ابتداءً مطمئناً بانتهاء مؤيس، وذلك يوجب انتزاع وجه التشبيه من
مجموع البيت"^(٣).

وقد فصل الخطيب القزويني القول في التشبيه من حيث وجه الشبه
والطرفين والأداة.

فباعتماد الوجه قسمه إلى تمثيل، وغير تمثيل ومجمل ومفصل،
وقريب، وبعيد وتفصيله كان أوضح مما جاء عند السكاكي، مع استشهاده بما
جاء عند عبد القاهر الجرجاني وتأيده، كما أشار إلى أن هنالك تشبيهاً يسمى
بالمشروط^(٤).

(١) سورة الجمعة، الآية ٥.

(٢) المفتاح: السكاكي، ص ٤٥٨.

(٣) نفسه، ص ٤٥٨.

(٤) انظر الإيضاح: ص ٢٤٣-٢٥٥.

وباعتبار الأداة قسمه إلى مؤكد: "وهو ما حذفت أدواته"^(١). في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمْرُ مَرَّ السَّحَابِ﴾^(٢). وقول الشاعر^(٣):
وَالرِّيحُ تَعَبَتْ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى *** ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ
والمرسل: "هو ما ذكرت أدواته". كقوله تعالى: ﴿عَرَّضُهَا كَعَرَّضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾^(٤).

فبالتالي لا يمكن حدوث توهم للصفة في المشبه والمشبه به دون أن يكون هنالك تخيل، هذا مراد السكاكي. لذلك تجد أن تشبيه التمثيل يمتاز بخصوصية جمالية فنية. فليس المطلوب في التشبيه أن نحدد العلاقات بين المشبه والمشبه به فقط إنما إضافة التوهم والخيال إلى تلك الصفات وتداخلها في بعضها البعض يكسبها هذا الفن الجميل المستخلص، غير الموجود على أرض الواقع. ربما في مجمله، فمفهوم السكاكي لتشبيه التمثيل مفهوم دقيق جداً بحيث يلعب فيه الخيال والتوهم دوراً كبيراً، ولا بد فيه من عدة أجزاء متمازة تعطي المتلقي فرصته الكاملة في إثراء خياله وبحثه عن نفيس المعاني.

من هنا اكتسب التشبيه التمثيلي خصوصيته الفنية عند السكاكي والكامنة أيضاً في التركيب. كما أنه يرى أن التمثيل إذا تردد كثيراً وفشا استعماله فإنه يستعمل على سبيل الاستعارة التمثيلية ولا تتغير صورته: "إن التمثيلي متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي مثلاً ، ولورود الأمثال على سبيل الاستعارة لا تتغير"^(٥).

(١) انظر الإيضاح: ص ٢٥٦.

(٢) سورة النمل، الآية ٨٨.

(٣) انظر الإيضاح: ص ٢٥٦.

(٤) سورة الحديد، الآية ٢١.

(٥) السابق نفسه، ص ٤٥٨.



الفصل الثاني

المجاز بمفهومه العام

مَهَيِّدٌ

سمي عند السكاكي: "مجازاً لجهة التناسب؛ لأن المجاز "مفعل" من جاز المكان يجوزُه إذا تعداه، والكلمة إذا استعملت في غير ما هي موضوع له، وهي ما تدل عليه بنفسها، فقد تعدت موضعه الأصلي..."^(١).

ثم جاء تعريفه له بأنه: "الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعه له بالتحقيق، استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع وقولي: بالتحقيق احتراز أن لا تخرج الاستعارة، التي هي من باب المجاز، ... وقولي: استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها، احتراز عما إذا اتفق كونها مستعملة فيما تكون موضوعه له، لا بالنسبة إلى نوع حقيقتها، ... والمراد بحقيقتها اللغوية أن كانت إياها، أو الشرعية أو العرفية، أية كانت، وقولي: "مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع، احتراز عن الكناية..."^(٢).

مما لا شك فيه أن السكاكي ههنا قد استقى هذا المعنى من تعريف عبد القاهر الجرجاني للمجاز، غير أنه صاغه بأسلوبه، فكان تعريف الجرجاني مبسطاً يقول: "وأما المجاز فكل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز. وإن شئت قلت: كل كلمة جرت بها ما وقت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها"^(٣).

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٧٠.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٦٩.

(٣) أسرار البلاغة: الجرجاني، ص ٢٦٠.

ويقر السكاكي بنقله لمفهوم المجاز من عبد القاهر الجرجاني مع بعض الامتعاظ: "ويجدون المجاز هكذا: كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضع لملاحظة بين الثاني والأول؛ فتأمل قولي وقولهم"^(١).

وللمجاز ثلاث مفاهيم:

أولها: مجاز لغوي:

بمعنى أن المتكلم نقل اللفظ اللغوي من مكانه إلى مكان آخر، وهذا يسمى "استعارة لغوية" مثل: سلمت على أسد.

ثانيها: مجاز عقلي:

وهو إسناد الفعل لغير ما هو له، مثل: انتحرت العدالة. هنا العقل هو الذي أسند الفعل لغير ما هو له، ويسمى مجاز عقلي، أو استعارة مكنية، وفي كليهما علاقة المشابهة.

وثالثها: أرسل عن علاقة المشابهة:

وله عدة علاقات، ويسمى مجاز مرسل، في مثل قوله تعالى:

﴿خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢).

أما الاستعارة اللغوية، فشرحها في المبحث الأول.

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٧٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٣١.

المبحث الأول المجاز اللغوي [الاستعارة]

قبل الدخول في المجاز اللغوي أمهد لمفهوم الاستعارة عند العلماء، ثم أختم المبحث بالاستعارة التصريحية التي هي من المجاز كذلك. لكننا وفي هذا البحث جننا بها بعد التشبيه مباشرة لاعتقادنا - كما المتقدمين - بالصلة الوطيدة بينهما، بل أكاد أقول أنها جزء لا يتجزأ عن التشبيه.

ارتبطت الاستعارة بالتشبيه عند الكثير من البلاغيين، فقد خلطوا بينهما وجعلوهما بنية واحدة، فهذا ابن الأثير يقول: "... والتشبيه ضربان: تشبيه تام، وتشبيه محذوف؛ فالتشبيه التام: أن يذكر المشبه والمشبه به، والتشبيه المحذوف: أن يذكر المشبه به، ويسمى استعارة، وهذا الاسم وضع للفرق بينه وبين التشبيه التام، وإلا فكلاهما يجوز أن يطلق عليه اسم التشبيه"^(١). وهذا التداخل بين التشبيه والاستعارة قد تنبه إليه البلاغيون من قبل ورأوا أن التشبيه يعد أصلاً للاستعارة والاستعارة فرع منه. يقول الجرجاني: "التشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيهه بالفرع له، أو صورة مقتضبة من صورة"^(٢).

أيضاً يكرر السكاكي ما قاله عبد القاهر الجرجاني في تعريفه للاستعارة وكلامه عنها.

ورغم هذه العلاقة القوية المتداخلة بين التشبيه والاستعارة والتي أدت إلى اختلاطهما عند بعض المتقدمين والمتأخرين، إلا أن السكاكي استطاع أن

(١) المثل السائر: ابن الأثير، ج ١، ص ٣٤٣.

(٢) أسرار البلاغة: الجرجاني، ص ٢٦.

يضع الحدود الدقيقة بينهما، والتي يمكن أن تفصلهما عن بعضهما البعض، وتمييز كل منهما عن الآخر وذلك يتضح من خلال مفهومه للاستعارة.

مفهوم السكاكي للاستعارة:

يرى السكاكي أن الاستعارة لا تتحقق إلا بوجود علاقة التشابه بين الطرفين وعلاقة انتقال من الملزوم إلى اللازم. بذلك تكون هنالك صورة استعارية. يقول: "إن المجاز. أعني الاستعارة من حيث أنها من فروع التشبيه، -كما ستقف عليه- لا يتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم إلى اللازم، بل لابد فيها من تقدمه تشبيه شيء بذلك الملزوم له لازم له"^(١). ثم يقع على هذا التشبيه حذف أحد طرفيه بادعاء "دخول المشبه في جنس المشبه به"^(٢).

كما أنه يعدها من باب المجاز الذي ينتقل فيها اللفظ من دلالة الحقيقية إلى دلالة أخرى مجازية. لذلك نجد أن هنالك قرب في العلاقة بين المجاز المرسل والاستعارة لأن كل منهما يستخدم فيه اللفظ في غير ما وضع له. فالسكاكي في مفهومه للاستعارة -بعد أن عدها من أبواب المجاز- يركز على العلاقة التشبيهية باعتبارها الأصل في تمييز الاستعارة عن المجاز المتنوع فهي -الاستعارة- عنده: "أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به، كما تقول: في الحمام أسد، وأنت تريد به الشجاع، مدعياً أنه من جنس الأسود فنثبت للشجاع ما يخص المشبه به، وهو اسم جنسه، مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر، أو كما تقول: إن المنية أنشبت أظفارها، وأنت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٣٩.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٧٧.

شيئاً غير سبع، فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار، وسمي هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب بينه وبين معنى الاستعارة"^(١).

كما أنه يحدد في مفهومه لها على أن الطرفين لا بد أن يشتركان في الصفة ويختلفان في الحقيقة: "هي إذا وجدت وصفاً مشتركاً بين ملزومين مختلفين في الحقيقة"^(٢). وهي هنا بخلاف التشبيه الذي يصح فيه اشتراك الطرفين في الحقيقة، واختلافهما في الصفة أو بالعكس. أي يختلفان في الحقيقة ويشتركان في الصفة.

ذكر السكاكي أن المتقدمين من البلاغيين اختلفوا في أن الاستعارة مجاز لغوي أم عقلي؟ وأن من الذين قالوا أنه لغوي "وأما عد هذا النوع لغوياً فعلى أحد القولين، وهو المنصور، كما ستقف عليه، وكان شيخنا الحاتمي، تغمده الله برضوانه، أحد ناصريه"^(٣).

ومن الذين قالوا أنها مجاز عقلي: "بمعنى أن التصرف فيها أمر عقلي لا لغوي"^(٤). ومنهم الإمام عبد القاهر الجرجاني^(٥). وأنه لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به "لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كزيد ويشكر تستحق هذا الاسم"^(٦). ومن ثم صح التعجب في قول ابن العميد:

قامت تظاني من الشمس *** نفس أعز علي من نفسي
قامت تظاني من وعجب *** شمس تظاني من الشمس

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٧٧.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٨٢.

(٣) السابق نفسه، ص ٤٧٨.

(٤) علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٢هـ — -
٢٠٠٢م، ص ٢٦٣.

(٥) انظر دلائل الإعجاز، ص ٢٢٦.

(٦) علوم البلاغة: المراغي، ص ٢٦٣.

أو موضع نهي عن التعجب في قوله:

لا تعجبوا من بلى غلاته *** قد زرّ أزراره على القمر
ففي عرضه للموقفين^(١) نجد أن السكاكي يرجح الرأي الأول القائل
بأنها مجاز لغوي لا عقلي، فبالتالي خالف الجرجاني الذي جعلها مرة مجازاً
لغويًا ومرة أخرى مجازاً عقلياً.

قرينة الاستعارة:

يرى السكاكي أنه لا بد في الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني
في إجراء الاستعارة لآبد من وجود قرينة تدل على امتناع المعنى الأول،
لنصل إلى المعنى الثاني المقصود. وذلك: "ضمن قرينة مانعة عن عمل
المفرد بالذكر على ما يسبق منه إلى الفهم، كيلا يحمل عليه فيبطل الغرض
التشبيهي بانياً دعواك على التأويل المذكور، ليتمكن التوفيق بين دلالة الأفراد
بالذكر، وبين دلالة القرينة المتمانعتين وتمتاز دعواك عن الدعوة الباطلة"^(٢).

وقد ذكر أنها ربما تكون كلمة واحدة تنقلنا إلى المعنى الثاني، وربما
كانت عدة معان مرتبط بعضها ببعض تؤدي إلى المعنى المقصود. يقول:
"واعلم أن قرينة الاستعارة ربما كانت معنى واحد، وربما كانت معان مربوطة
بعضها ببعض كما في قول الشاعر:

وَصَاعِقَةٌ مِنْ نَصْلِهِ تَتَكْفَى بِهَا *** عَلَى أَرْؤُسِ الْأَقْرَانِ خَمْسُ سَحَائِبِ

انظر حين أراد استعارة السحائب لأنامل يمين الممدوح، تفريراً على ما
جرت به العادة من تشبيه الجواد بالبحر الفياض تارة، وبالسحاب الهطال
أخرى؛ ما صنع؟ ذكر أن هناك صاعقة، ثم قال: "من نصله"، فبين أن تلك
الصاعقة من نصل سيفه، ثم قال: "على أَرْؤُسِ الْأَقْرَانِ"، ثم قال: "خمس"،

(١) انظر المفتاح، ص ٤٨٠.

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٣.

فذكر العدد الذي هو عدد جميع أنامل اليد، فجعل ذلك كله قرينة لما أراد من استعارة السحائب للأنامل^(١).

قسم السكاكي الاستعارة إلى قسمين: مصرح بها ومكنى عنها، والمصرح بها ينقسم إلى تحقيقية تخيلية، ثم قسمها إلى أربعة أقسام: "الاستعارة المصرح بها الحقيقية مع القطع، الاستعارة المصرح بها التخيلية مع القطع، الاستعارة المصرح بها مع الاحتمال للتحقيق والتخييل، الاستعارة بالكناية"^(٢).

الاستعارة التصريحية:

يرى السكاكي أن الاستعارة التصريحية يمكن أن تنقسم إلى ثلاثة أقسام. بالنسبة إلى نوع المشبه المتروك ذكره، فإن كان حسيّاً أم عقليّاً متحققاً، كانت الاستعارة تصريحية حقيقية، وإن كان المشبه لا يتحقق إلا في الوهم، فالاستعارة تخيلية، وإن كان صالحاً للحمل تارة على ما له تحقق، وأخرى ما لا تحقق له فتسمى الاستعارة المحتملة للتحقق والتخييل.

١/ الاستعارة التصريحية الحقيقية:

عرفها السكاكي بقوله: "إذا وجدت وصفاً مشتركاً بين ملزومين مختلفين في الحقيقة، هو في أحدهما أقوى منه في الآخر، وأنت تريد إلحاق الأضعف بالأقوى على وجه التسوية بينهما، أن تدعي ملزوم الأضعف من جنس ملزوم الأقوى بإطلاق اسمه عليه، وسد طريق التشبيه بإفراده في الذكر، توصلاً بذلك إلى المطلوب لوجوب تساوي اللوازم عند تساوي ملزوماتها، فاعلاً ذلك ضمن قرينة مانعة عن حمل المفرد بالذكر على ما يسبق منه إلى الفهم، كيلا يحمل عليه فيبطل الغرض التشبيهي، بانياً دعواك على التأويل المذكور، ليتمكن التوفيق بين دلالة الأفراد بالذكر، وبين دلالة القرينة المتمنعتين،

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٤.

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٢.

ولتمتاز دعواك عن الدعوى الباطلة، مثال ذلك: أن يكون عندك شجاع، وأنت تريد أن تلحق جرأته وقوته بجرأة الأسد وقوته فتدعي الأسدية له بإطلاق اسمه عليه، مفرداً له في الذكر، فتقول: رأيت أسداً، كيلا يعد جرأته وقوته، دون جرأة الأسد وقوته، مع نصب قرينة مانعة من إرادة الهيكل المخصوص به: كـ يرمي أو يتكلم، أو في الحمام...^(١).

فهو يرى أنها لا بد أن تشتمل على وصف مشترك بين طرفين مختلفين في حقيقتهما، يكون أحدهما أقوى من الآخر، وأن الطرفين المختلفين في جنسهما تكون الاستعارة بينهما أقوى لأن كلا من الطرفين يفقد من سماته الأصلية ويكتسب من سمات الطرف الآخر، وفي ذلك تكمن القوة. أما إن كانا متفقين في النوع أو الجنس، فتكون أضعف لأن بينهما صفات مشتركة. فبالنتالي إن الاستعارة تكون نتيجة لتداخل كلا من الطرفين في الآخر، والذي نتحصل منه على معنى جديد جميل.

كما أنه يرى أيضاً أفراد المشبه به في الذكر لسد طريق التشبيه الذي يقلل من درجة اتحادهما. كما إن أفراد المشبه به في الذكر يتطلب وجود قرينة حالية أو لفظية تمنع إيراد "ما يسبق منه إلى الفهم كيلا يحمل عليه فيبطل الغرض التشبيهي".

ونخلص أن استعارة السكاكي تكمن في إلحاق الأضعف بالأقوى على درجة التسوية بينهما، وإثبات الصفة للمشبه على سبيل الإدعاء والمبالغة. فالإدعاء بأنها من جنس واحد يقتضي أن تتساوى الصفات.

ومن أمثلة الاستعارة التصريحية التحقيقية الاستعارة التهكمية، وهي: "استعارة اسم أحد الضدين أو النقيضين للآخر، بوساطة انتزاع شبه التضاد، وإلحاقه بشبه التناسب، بطريق التهكم أو التلميح، على ما سبق في باب التشبيه، ثم إدعاء أحدهما من جنس الآخر، والإفراد بالذكر، ونصب القرينة،

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٢-٤٨٣.

كقولك: "إن فلاناً تواترت عليه البشارات بقتل، ونهب أمواله، وسبي أولاده"^(١).

والاستعارة التهكمية وما فيها من تلميح أو سخرية، أو دعابة، فيها من الجمال والتصوير الفني ما يميزها عن باقي أنواع الاستعارة. فيها يحصل عنصر المفاجأة الذي يكون من خلال توقع الشخص لشيء بعد سماعه للفظ الأول من تركيب الجملة ثم يصطدم بشيء مخالف تماماً لما توقعه في البدء. كما أن التأويل فيها يختلف من شخص لآخر حسبما يفهم المتلقي. فهي غنية بالاحتمالات الكثيرة.

الاستعارة التمثيلية:

عدها السكاكي من ضمن الاستعارة التصريحية التحقيقية، عرفها قائلاً: "استعارة وصف إحدى صورتين منتزعتين من أمور لوصف الأخرى، مثل أن تجد إنساناً استفتى في مسألة، فيهم تارة بإطلاق اللسان ليحجب، ولا يهم أخرى، فتأخذ صورة تردده هذا، فتشبهها بصورة تردد إنسان قام ليذهب في أمر، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى، ثم تدخل صورة المشبه في جنس صورة المشبه به دوماً للمبالغة في التشبيه، فتكسوها وصف المشبه به من غير تغيير فيه بوجه من الوجوه، على سبيل الاستعارة، قائلاً: "أراك أيها الفتى تقدم رجلاً وتؤخر أخرى"، وهذا نسميه: التمثيل على سبيل الاستعارة"^(٢).

فقد عدها من المجاز، ودافع ابن يعقوب المغربي عن هذا الرأي: "إنما عد التمثيل من مطلق الاستعارة الشاملة للإفرادية والتركيبية، لأن مطلق الاستعارة التصريحية التحقيقية أعم من الاستعارة التي هي مجاز مفرد، وإذا

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٣.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٨٤.

كان العد إنما هو من مطلق الاستعارة الشاملة لما يوجد فيه التركيب فعد التمثيل منها صحيح^(١).

أما الخطيب القزويني فقد اعترض على السكاكي بعده الاستعارة التمثيلية من باب الاستعارة بقوله: "وعد التمثيل على سبيل الاستعارة منها [أي التصريحية التحقيقية]. وفيه نظر لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركباً كما سبق فكيف يكون قسماً من المجاز المفرد"^(٢).

فالقزويني لا ينفي وجود الاستعارة التمثيلية في الكلام، لأنها جاءت في تعريف السكاكي للمجاز والاستعارة المركبة. لذا فهو يقول: "ولو لم يفيد الاستعارة بالإفراد. وعرفها بالمجاز الذي أريد به ما شبه بمعناه الأصلي مبالغة في التشبيه؛ دخل كل من التحقيقية والتمثيل في تعريف الاستعارة"^(٣).

كما أن السكاكي قد وجد العلاقة بين المثل والاستعارة التمثيلية من حيث أن كلا منهما مجاز مركب فشا استعماله، فرأى أن الأمثال "كُلها تمثيلات على سبيل الاستعارة"، بالتالي إن صورتها اللغوية لا تتغير^(٤): "فتستعمل في المفردة والجمع وإن كانت جمعاً أو تثنية وفي المذكر وإن كانت مؤنثة وعكسها"^(٥).

٢ / الاستعارة التصريحية التخيلية:

وهي: "أن تسمى باسم صورة متحققة صورة عندك وهمية محضة، تقدرها مشابهة لها، مفرداً في الذكر، في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه إلى الفهم، من كون مسماه شيئاً متحققاً، وذلك مثل أن تشبيهه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة... تشبيهاً

(١) مواهب الفتح: ابن يعقوب المغربي، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، ص ٣٠٦..

(٣) السابق نفسه والصفحة.

(٤) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٤.

(٥) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ١٨٤.

بليغاً حتى كأنها سبع من السباع، فيأخذ الوهم في تصويرها في صورة السبع، واختراع ما يلزم صورته، ويتم بها شكله قوام اغتيال السبع للنفوس بها وتام افتراسه بها من الأنياب والمخالب، ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك أسامي المتحققة على سبيل الأفراد بالذكر، وأن تصنيفها إلى المنية قائلاً: مخالب المنية، أو أنياب المنية التشبيه بالسبع ليكون إضافتها إليها قرينة مانعة من إجرائها على ما يسبق إلى الفهم منها من تحقق مسمياتها"^(١).

فالمستعار له شيء وهمي من اختراع الخيال وهو: "مخالب المنية"، فهو يتحدث عن الموت فقام بتشبيهه بشيء في الواقع وهي: مخالب السبع المعروفة تماماً، مع وجود قرنية دالة على المعنى المقصود وهي إضافة المستعار منه إلى المنية بذلك تكون الاستعارة تصريحية. وكون المستعار له صورة غير متحققة وهمية تصبح الاستعارة تخيلية. أي أن كل استعارة تخيلية هي تصريحية. وإنه يرى أن: "كل مكنية لا تنفك عن التخيلية"^(٢)، وهو هنا يقر بأنه رأى الأصحاب أي من تقدموه.

٣/ الاستعارة التصريحية المحتملة للتحقيق والتخييل:

وهي: "أن يكون المشبه المتروك صالح الحمل على ما له تحقق من وجه، وعلى ما لا تحقق له من وجه آخر، ونظيره قول زهير: صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله *** وعري أفراس الصبا ورواحله أراد أن يبين أنه أمسك عما كان يرتكب أو ان الصبا، وقمع النفس عن التلبس بذلك، معرضاً للإعراض الكلي عن المعاوذة لسلوك سبيل الغي وركوب مراكب الجهل، فقال:

وعري أفراس الصبا ورواحله"^(٣)

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٥.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٨٧.

(٣) نفسه، ص ٤٨٦.

يرى السكاكي هنا أنه يمكن حمل المستعار له على جانب التحقيق وعلى جانب التخيل. أي أن استعارة الأفراد والرواحل يمكن أن تكون لشيء موجود فتكون حقيقية، ويمكن أن تكون لشيء غير موجود وهمي فتكون تخيلية يقول: "فحق قوله: أفراس الصبا ورواحله أن يعد استعارة تخيلية لما يسبق إلى الفهم، ويتبادر إلى خاطر من تنزيل أفراس الصبا ورواحله منزلة أنياب المنية ومخالبتها، وإن كان يحتمل احتمالاً بالتكلف أن تجعل الأفراس والرواحل عبارة عن دواعي النفوس وشهواتها"^(١).

غير أن عبد القاهر الجرجاني يرى أنه ليس المقصود هنا تشبيه الصبا بالفارس أو غيره وإنما تشبيه دواعي النفس ونزواتها سواء أكانت في صورتها المتحققة أم المتخيلة بالأفراس والرواحل على سبيل الاستعارة التصريحية الحقيقية أو التخيلية. حيث قال: "لا تستطيع أن تثبت ذواتاً أو شبه الذوات تتناولها الأفراس والرواحل في البيت، على حد تناول الأسد الرجل الموصوف بالشجاعة... وليس إلا أنك أردت أن الصبا قد ترك وأهمل، وفقد نزاع النفس إليه وبطل، فصار كالأمر ينصرف عنه فتعطل آلاته، وتطرح أدواته... وقد يجيء وإن كان كالتكلف أن تقول إن الأفراس عبارة عن دواعي النفوس وشهواتها وقواها في لذاتها"^(٢).

أما عن تقسيم الاستعارة من حيث ذكر المشبه به وعدمه فتنقسم إلى:

١/ الاستعارة المجردة:

عرفها السكاكي قائلاً: "أنك قد عرفت أن الاستعارة لا بد لها من مستعار له ومستعار منه، فمتى عقت بصفات ملائمة للمستعار له أو تفريع كلام ملائم له سميت مجردة"^(٣). يفهم من كلام السكاكي أن هنالك صفات قوية أو ضعيفة تضاف إلى الاستعارة هي التي تتحكم بها، والتي تكون في ادعاء

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٦.

(٢) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ص ٤٠.

(٣) السابق نفسه، ص ٤٩٤.

دخول المشبه في جنس المشبه به. وفي المجردة نذكر الصفات التي تتعلق بالمشبه. فمثلاً عندما نقول: "ساورت أسداً شاكي السلاح، طويل القناة، صقيل الغضب"^(١). لدينا هنا رجل شجاع، وأسد مفترس، ولوجود علاقة تشابه بينهما فقد صح الجمع بينهما، وأصبح المشبه من جنس المشبه به وفرداً من أفراده. والقرنية أوصلتنا المعنى المقصود.

ذكر أن الصفات الملائمة للمشبه تؤدي إلى كثرة حضوره في ذهن المتلقي في مقابل المشبه به. ويكون الانتقال إليه بسهولة ويسر. فكثرة القرائن تجعل المتلقي ينتقل من معنى إلى آخر دون الالتفات أو التأمل.

٢ / الاستعارة المرشحة:

حددها السكاكي بأنه: "متى عقت بصفات أو تفريغ كلام ملائم للمستعار منه "سميت مرشحة"^(٢)، مثال ذلك: "ساورت أسداً هصوراً وعظيم اللبدين، وافي البرائن، منكر الزئير"^(٣). فهذه الصفات التي ذكرها (هصوراً، عظيم اللبدين، وافي البرائن، منكر الزئير) كلها صفات تخص المستعار منه، والمقصود منها المعنى المعنوي، ووجود القرينة التي تؤدي بنا إلى المعنى الثاني المجازي.

كما أن للتشريح دور في الاستعارة وهو إخفاء التشبيه، بحيث يكون المتلقي أمام معنى واحد لا معنيين. يقول السكاكي: "ومبنى الترشيح على تناسب التشبيه، وصرف النفس عن توهمه، حتى لا تبالي أن تبني على علو القدر وسمو المنزلة، بناءك على العلو المكاني والسمو، كما فعل أبو تمام إذ قال:

(١) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ص ٤٠.

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٩٤.

(٣) السابق نفسه والصفحة.

ويعصد حتى يظن الجهول *** بأن له حاجة في السماء^(١)
فالشاعر هنا تعمد تناسي أمر التشبيه وهو تشبيه الارتقاء والعلو
المعنوي وبالغ في إنكاره لدرجة أن المنلقي يظن أنه ارتقاء حسي
يعلق السكاكي على هذا بقول: "أو ما ترى هؤلاء فيما فعلوا كيف نبذوا
أمر التشبيه وراء ظهورهم، وكيف نسوا حديث الاستعارة كأن لم تخطر منهم
على بال ولا رأوها ولا طيف خيال"^(٢).

ومن الأمثلة التي أوردها السكاكي قول الشاعر:

أنتني الشمس زائرة *** وقد زر أزراه على القمر
وقول الآخر:

أنتني الشمس زائرة *** ولم تك تبحر الفلكا
والاستعارة التي ليست بمجردة ولا مرشحة في قوله: "اعلم أن
الاستعارة في نحو: "عندي أسد"، إذا لم تعقب بصفات أو تفريع كلام، لا تكون
مجردة ولا مرشحة"^(٣)، هذا النوع فيما بعد أطلق عليه البلاغيون اسم
الاستعارة المطلقة وهي: "التي لم تقترن بصفة معنوية ولا تفريع يلائم أحد
الطرفين"^(٤). كما أن الشيخ المراغي يرى أنه: "إذا اجتمع الترشيح والتجريد
كانت الاستعارة في حكم المطلقة"^(٥).

وقسم السكاكي الاستعارة من حيث الطرفين والوجه - كما فعل في
التشبيه - إلى خمسة أقسام وهي^(٦):

(١) السابق نفسه والصفحة.

(٢) السابق نفسه.

(٣) مفتاح العموم: السكاكي، ص ٤٩٤.

(٤) علوم البلاغة: للمراغي، ص ٢٧٨.

(٥) السابق نفسه.

(٦) انظر المفتاح، ٤٩٨-٥٠١.

١- استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي؛ مثل قوله تعالى:
﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(١).

٢- استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي، مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٢). وقوله عز وجل: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلُ
نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾^(٣). وقوله علا شأنه: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ
تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾^(٤).

٣- استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي، مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا
مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا﴾^(٥). وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾^(٦).
وقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا﴾^(٧). وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ
الْغَيْظِ﴾^(٨). وقوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضِبُ﴾^(٩).

٤- استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي، قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾^(١٠). وقوله: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالصَّرَاءُ﴾^(١١).

(١) سورة مريم، الآية ٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٤١.

(٣) سورة يس، الآية ٣٧.

(٤) سورة يونس، الآية ٢٤.

(٥) سورة يس، الآية ٥٢.

(٦) سورة الرحمن، الآية ٣١.

(٧) سورة الفرقان، الآية ٢٣.

(٨) سورة الملك، الآية ٨.

(٩) سورة الأعراف، الآية ١٥٤.

(١٠) سورة الأنبياء، الآية ١٨.

(١١) سورة البقرة، الآية ٢١٤.

وقوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾^(٢).

٥- استعارة معقول لمحسوس بوجه عقلي، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿بَرِيحٍ صَرَّصِرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(٤).

ويقر السكاكي: "أن الكلام في جميع ما ذكر الأمثلة في الأنواع الخمسة، قول الأصحاب"^(٥).

من الغريب الملاحظ أن السكاكي لم يفسد مبحث الاستعارة كما فعل في التشبيه، بل جاء بحثه موجزاً مقراً بما جاء عند المتقدمين. مع إبدائه لبعض الخلافات الصغيرة، والتي ربما مرجعها استيعاب المعنى عند كل منهم. بيد أنه حاول تقليل أقسام الاستعارة بردد الاستعارة التبعية إلى الاستعارة المكنية.

وقد خالف السكاكي صاحب الكشاف في الاستعارة في قوله: ﴿فَأَذَاقَهَا

اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٦). يقول الزمخشري في

تفسيرها: "فإن قلت الإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه؟ قلت: أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون: ذاق فلان البؤس والضرر وأذاقه العذاب، شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك ما غشى الإنسان والتبس به بعض الحوادث. وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٦٨.

(٣) سورة الحاقة، الآية ١١.

(٤) سورة الحاقة، الآية ٦.

(٥) المفتاح: السكاكي، ص ١-٥.

(٦) سورة النحل، الآية ١١٢.

والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغطي منهما ويلابس فكأنه قيل: فأذاقه ما غشيه من الجوع والخوف"^(١). مما يعني أن الاستعارة عنده ههنا عقلية. أما السكاكي فيعتبرها حسية يقول: "الظاهر من اللباس، عند أصحابنا، الحمل على التخيل، وإن كان يحتمل عندي أن يحمل على التحقيق، وهو أن يحمل على التحقيق، وهو أن يستعار لما يلبسه الإنسان عند جوعه من انتقاع اللون وورثاة الهيئة"^(٢).

(١) الكشف: الزمخشري، ج ٢، ص ٦٠٦.

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٧.

المبحث الثاني المجاز العقلي (الاستعارة المكنية)

المجاز العقلي:

وهو: "الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل، إفادة للخلاف لا بوساطة وضع، كقولك: أنبت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض، وكسا الخفية الكعبة، وهزم الأمير الجند، وبنى الوزير القصر"^(١).

يفهم من تعريف السكاكي أن المجاز العقلي يكون بإثبات الحكم في الجملة المركبة خلاف ما عند المتكلم بطريق التأويل. فمثلاً في قولنا: شفى الطبيب المريض، أسند الفعل (شفى) إلى الطبيب مع العلم أن الشفاء يكون بيد الله تعالى، لكن الطبيب سبباً فيه، وليس فاعلاً حقيقياً له. فوجود العلاقة السببية حقق لنا التأويل المجازي، فقد جعل مخالفة حكم المتكلم أساساً لتمييزه عن القول الحقيقي سواء كان مخالفاً للعقل أم لا. يقول: "لذلك لا نراهم يحملون نحو:

أشاب الصغير وأفنى الكبير *** كر الغداة ومر العشى
على المجاز، ما لم يعلموا، أو يقلب في ظنهم، أن قائله ما قاله عن اعتقاد"^(٢).

ففي قول الدهري: "أنبت الربيع البقل" يعتبرها السكاكي حقيقة لا مجازاً لأنه يعتقد ذلك. ويسمى هذا النوع "مجازاً لتعدي الحكم فيه عن مكانه الأصلي فالحكم في أنبت الربيع البقل يكون الإنبات فعلاً للربيع، مكانه الأصلي عند العقل كونه فعلاً لله عز وجل، وفي: هزم الأمير الجند، يكون هزم الجند فعلاً

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥٠٣.

(٢) السابق نفسه، ص ٥٠٣.

للأمير، مكانه الأصلي عند العقلاء كونه فعلاً لعسكر الأمير. ويسمى: عقلياً لا لغوياً، لعدم رجوعه إلى الوضع، وكثيراً ما يسمى حكماً لتعلقه بالحكم^(١).
غير أن الجرجاني كان في كلامه عن الفرق بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي أقرب إلى الفهم يقول: "واعلم أن المجاز على ضربين مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول. فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: اليد مجاز في النعمة، والأسد مجاز في الإنسان، وكل ما ليس بالسبع المعروف كان حكماً أجريناه على ما جرى من طريق اللغة، وأوقعها على غير ذلك إما تشبيهاً وإما لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه".

ومتى وصفنا المجاز الجملة من الكلام كان مجازاً من طريق المعقول دون اللغة، وذلك لأن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث هي جمل لا يصح ردها إلى اللغة^(٢).

ويرى السكاكي أن المجاز العقلي يتردد بين أربع صور من حيث رجوعه إلى الحكم^(٣): أي طرفي الإسناد:

الأولى: إما أن يكون الطرفان حقيقيين وضعيتين. كقولنا "أنبت الربيع البقل". فكل منهما حقيقة وضعية مستعملة في مكانها الأصلي.

الثانية: أن يكون الطرفان مجازيان وضعيين مثل: "أحيا الأرض شباب الزمان". فـ(أحيا) مجاز وضعي و(شباب الزمان) أيضاً مجاز وضعي.

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥٠٦.

(٢) أسرار البلاغة: الجرجاني، ص ٣٠٠.

(٣) انظر مفتاح العلوم، ص ٥٠٧-٥٠٨.

الثالثة: أن يكون المسند حقيقة وضعية والمسند إليه مجازاً وضعياً
مثل: "أنبت البقل شباب الزمان". فالإنبات حقيقة وضعية
وشبابا الزمان مجاز وضعي.

الرابعة: أن يكون المسند مجازاً وضعياً والمسند إليه حقيقة وضعية
مثل: "أحيا الربيع الأرض"، فالإحياء مجاز وضعي والربيع
حقيقة وضعية.

لكن السكاكي لا يرى ضرورة في تقسيم المجاز إلى لغوي وعقلي،
وأن هذا التقسيم هو من رأي الأصحاب، فهو -السكاكي- يراه مجازاً لغوياً
أبداً. وما يسمى بالمجاز العقلي -عنده- نظم في سلك الاستعارة بالكناية.
يقول: "هذا كله تقرير للكلام في هذا الفصل بحسب رأي الأصحاب من تقسيم
المجاز إلى: لغوي وعقلي، وإلا فالذي عندي هو نظم هذا النوع في سلك
الاستعارة بالكناية، يجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بوساطة
المبالغة في التشبيه على ما عليه مبني الاستعارة، كما عرفت، وجعل نسبة
الإثبات إليه قرينة الاستعارة"^(١).

غير أن الخطيب القزويني يعد هذا النوع من المجاز مجازاً بالإسناد
ويرى خلاف السكاكي أن ما يسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي الإسناد،
كما أنه أخرج من علم البيان وبحثه في علم المعاني: "إنما لم نورد الكلام في
الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان، كما فعل السكاكي ومن تبعه؛ لدخوله
في تعريف علم المعاني، دون تعريف علم البيان"^(٢).

وأيضاً نبه إلى الملازمة بين الفعل وفاعله المجازي: "وأما المجاز فهو
إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له، غير ما هو له بتأويل، وللفاعل ملابسات
شتى يلبس الفاعل والمفعول به والمصدر، والزمان والمكان والسبب"^(٣).

(١) مفتاح العلوم، ص ٥١١.

(٢) الإيضاح: الخطيب القزويني، ص ٤٤.

(٣) السابق نفسه.

ربما جاء هذا الالتباس لتقارب المجاز العقلي والاستعارة، ففي المجاز العقلي تستخدم المفردات بمعانيها الحقيقية ويكون المعنى ناتج عن عملية إسناد الفعل للفاعل فمثلاً: "أنبت الربيع البقل"، فحقيقة الإنبات لا يكون فعل الربيع في واقع الأمر لكن الإسناد إليه جعله حقيقة مجازاً. وفي قولنا: "ضحك الربيع" استعارة لأن الضحك من صفات الإنسان استخدمت في غير معناها الحقيقي لوجود علاقة المشابهة بين الربيع وما فيه من نضارة وشعور بالفرح والضحك وما يضيفه على وجه الإنسان من تعبير جميل وتهليل فرحة. مما يعني أن المجاز العقلي يعتمد في أساسه على عملية إسناد الفعل إلى الفاعل بطريقة دقيقة نوعاً ما. مع إبقاء المعنى الحقيقي للمفردات المستعملة.

وبما أن ليس كل التراكيب التي لا يأتي فيها للفاعل فعل حقيقي تعد من المجاز العقلي، فقد أوضح ذلك بهاء الدين السبكي بتقسيمه الإسناد الحقيقي إلى ثلاثة أقسام: "الأول: ما يراد وقوعه من فاعله حقيقة بمعنى التأثير وذلك يختص بالله تعالى: كقولنا: خلق الله ورزق الله. والثاني: ما يراد وقوعه حكماً مثلك قام زيد، الثالث: ما يراد به مجرد الاتصاف مثلك مرض زيد وكل لا كسب فيه مثل برد الماء"^(١).

إذن فالمجاز العقلي هو نوع من أنواع التعبير الأدبي، التي تفتح أمام المتكلم أو الشاعر أبعاداً عميقة، وقد تمخضت عنه الاستعارة المكنية التي نظمها السكاكي في سلك المجاز العقلي، ونحن نميل إلى رأي السكاكي في هذا، وشرحها التالي:

وعرفها قائلاً: "أن تذكر المشبه وتريد المشبه به، دالاً على ذلك بنصب قرينة تتصبها وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به المساوية؛ مثل أن تشبه المنية بالسبع ثم تفردتها بالذكر مضيفاً إليها، على

(١) عروس الأفراح: السبكي، ج ٢، ص ١٩٧.

سبيل الاستعارة التخيلية، من لوازم المشبه به ما لا يكون إلا له، ليكون قرينة دالة على المراد، فتقول: مخالبا المنية نشبت بفلاناً طويلاً لذكر المشبه به، وهو قولك: الشبيهة بالسبع^(١).

يفهم هنا من قول السكاكي أن المشبه (المنية) غير مستخدم في معناه الحقيقي، لأن المقصود به -كما يرى- المشبه به (السبع) بدليل نسبة شيء من لوازم المشبه به إليه. ويعلل في موضع آخر صحة دلالة المشبه على المشبه به وحمله لمعناه "أنا نفعل -ههنا- باسم المشبه ما نفعل في الاستعارة، بالتصريح بمسمى المشبه، كما أنا ندعى هناك الشجاع مسمى للفظ الأسد، بارتكاب تأويل على ما سبق، حتى يتهياً التقصي عن التناقض في الجمع بين ادعاء الأسمية، وبين نصب القرينة المانعة عن إرادة الهيكل المخصوص، ندعي ههنا اسم المنية اسماً للسبع، مرادفاً له بارتكاب تأويل"^(٢).

غير أن كثير من البلاغيين يرون أن الاستعارة لا بد فيها من حذف المشبه، وعليه لا تكون هناك استعارة مكنية. فعبد القاهر الجرجاني يعرف الاستعارة بقوله: "أن الاستعارة وإن كانت تعتمد التشبيه والتمثيل، وكان التشبيه يقتضي شيئين: مشبهاً ومشبهاً به، وكذلك التمثيل لأنه كما عرفت تشبيه، إلا أنه عقلي، فإن الاستعارة من شأنها أن تسقط ذكر المشبه من البين وتطرحة، وتدعى له الاسم الموضوع للمشبه به، كما مضى من قولك رأيت أسداً تريد رجلاً شجاعاً"^(٣). أي أنها لا تجري إلا في المشبه به، ومن ثم فهي تصريحية. لكنه فرق بين نوعين من التصريحية هما التحقيقية والتخييلية، كما أنه يفضل الضرب الثاني عن الأول لما فيه من تخيل وتصور بعددين في تحديد صفة المستعار له غير المذكور، لأنه ليس لديه مرجع حقيقي يمكن

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٧.

(٢) السابق نفسه والصفحة.

(٣) أسرار البلاغة: الجرجاني، ص ١٨١.

الاستناد إليه، ومن ثم هو أبعد تناولاً من الضرب الأول، ويتطلب حذفاً ومهارة أكبر في فهمه وتصوره^(١).

أما ابن الأثير فهو يقرر أيضاً: "أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوي ذكر المستعار له، الذي هو المنقول إليه، ويلتقي بذكر المستعار الذي هو المنقول"^(٢).

كما أن العلوي عند تقسيمه للاستعارة لم يذكر المكنية، وقسم الاستعارة إلى حقيقية وخيالية، وهما يدخلان تحت إطار التصريحية.

والقزويني أيضاً لا يتفق مع السكاكي في رأيه حول الاستعارة المكنية، ويرى: "أن المراد بالمنية هو الموت لا الحيوان المفترس، فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق، وكذا كل ما هو نحوه ولا شيء من الاستعارات مستعملاً كذلك"^(٣). أي أن القزويني يرى أن المكنية ليست استعارة بالمعنى المفهوم، وإنما تدخل في باب التشبيه، إذ يقول: "قد يضمّر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية"^(٤).

فالقزويني هنا يخرج الاستعارة المكنية من المجاز لإضمار التشبيه فيها في النفس، وإثباته بوساطة التخيل.

ويرى السكاكي أنه بالإمكان قلب المستعار إلى قرينة، والقرينة إلى استعارة، ويمكن الاستغناء عن التبعية بإجراء المكنية، ويكون ذلك أقرب إلى الضبط يقول: "لو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية قسم الاستعارة بالكناية، بأن قلبوا فجعلوا قولهم نطقنا الحال بكذا، الحال التي ذكرها عندهم قرنية الاستعارة

(١) أسرار البلاغة: الجرجاني، ص ١٨٢-١٨٦.

(٢) المثل السائر: ابن الأثير، ج ١، ص ٣٤٤.

(٣) الإيضاح: القزويني، ص ٣٠٨.

(٤) السابق نفسه، ص ٣٠٢.

بالتصريح، استعارة بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة في التشبيه على مقتضى المقام، وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة.. لكان أقرب إلى الضبط"^(١).

تقسيمها إلى أصلية وتبعية

١ / الاستعارة الأصلية:

يحددها السكاكي بأن: "يكون المستعار اسم جنس، كرجل وأسد، وكقيام وقعود، ووجه كونها أصلية هو ما عرفت أن الاستعارة مبناهما على تشبيه المستعار له بالمستعار منه"^(٢).

٢ / الاستعارة التبعية:

عرفها: "هي ما تقع في غير أسماء الأجناس: كالأفعال، والصفات، المشتقة منها، والحروف؛ بناء على دعوى أن الاستعارة تعتمد التشبيه، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً. والأفعال والصفات المشتقة منها، والحروف عن أن توصف بمعزل، فهذه كلها عن احتمال الاستعارة في أنفسها بمعزل، وإنما المحتمل لها، في الأفعال والصفات المشتقة منها، مصادرها وفي الحروف، متعلقات معانيها، فنقع الاستعارة هناك ثم تسري فيها"^(٣).

يعني أن إجراء الاستعارة في الأفعال والصفات تابع لإجرائها في مصادرها، وإجراؤها في الحروف تابع لإجرائها في متعلقاتها؛ لأن التشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً، والصفات والأفعال والحروف لا تقع موصوفة، ومن ثم فإن الاستعارة تجري في المصادر أو المتعلقات بحيث أنه: "لا تستعير الفعل إلا بعد استعارة مصدره، فلا نقول نطقت الحال، بدل "دلت"، إلا بعد إلا بعد تقرير استعارة نطق الناطق لدلالة الحال"^(٤).

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٩٣.

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٩.

(٣) نفسه ص ٤٨٩.

(٤) نفسه، ص ٤٨٩.

وأيضاً: "لا نستعير الحرف إلا بعد تقدير الاستعارة في متعلق معناه" (١).

في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢). والاستعارة باللام في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (٣). فالاستعارة التبعية في لام التعليل، حيث "شبه ترتيب العداوة والحزن على الالتقاط، بترتيب العلة الغنائية عليه، بجامع مطلق ترتيب شيء على شيء فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات، التي هي معاني الحروف، فاستعيرت اللام الموضوعية لكل جزء من جزئيات العلة الغائبة كالمحبة والتبني للام التي تدل على العداوة والحزن، استعارة تصريحية تبعية" (٤).

ويشير الزمخشري في هذا إلى معنى التعليل في اللام وارد على طرق المجاز، لأنهم حينما التقطوه لم يكون لهم عدواً وحزناً ولكن محبةً ورغبةً ف التبني، ولكن الذي ترتب على هذا الالتقاط والتبني غير ذلك. وشبه بالداعي الذي يفعل الفعل لأجله. يقول الزمخشري: "وهذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد، انتهى" (٥). يلاحظ أن السكاكي قد جعل الاستعارة التبعية من جنس التصريحية، حيث أجازها في لفظ المشبه به دون المشبه.

أما عن قرينة الاستعارة التبعية التي جعل مدارها الأفعال وما يتصل بها فمثل لها في حالة "المفعول الأول في قول ابن المعتز:

قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاةَ

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١.

(٣) سورة القصص، الآية ٨.

(٤) علوم البلاغة: للمراغي، ص ٢٧٥.

(٥) الكشف: الزمخشري، ج ٣، ص ٤٣٤.

وإلى المنصوب كقول الآخر:

صَبَحْنَا الْخَزْرَجِيَّةَ مُرْهِفَاتٍ

وكقول الآخر:

نَقَرِيهِمْ لَهُمْ ذِمِّيَاتٍ

أو إلى المجرور، كقوله علت كلمته (فبشرهم بعذاب أليم)، أو إلى

الجميع كقوله:

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة *** إذا سرى النوم في الأجفان إيقاظاً^(١)

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٩٢.

المبحث الثالث المجاز المرسل

وهو المجاز المرسل^(*) يعرفه السكاكي قائلاً: "هو أن تعدي الكلمة عن مفهومها الأصلي بمعونة القرينة إلى غيره لملاحظة بينهما، ونوع تعلق، نحو أن تراد النعمة باليد، وهي موضوعة للجارحة المخصوصة لتعلق النعمة بها، من حيث إنها تصدر عند اليد ومنها تصل إلى المقصود بها"^(١).

فهذا التعريف قريب بعض الشيء من الاستعارة من حيث وجود الانتقال من معنى أول إلى معنى ثان بوساطة قرينة مانعة. غير أن الاستعارة تكون العلاقة فيها المشابهة بين الطرفين. أما المجاز فعلاقاته متعددة جعلها السكاكي مطلقة لكثرة اللوازم القائمة بين الأشياء. والأمثلة التي ذكرها السكاكي جاءت عنده على سبيل المثال لا الحصر وذلك نحو: أن يراد الرجل بالعين إذا كانت ربيئة، من حيث أن العين لما كانت المقصودة في كون الرجل ربيئة صارت كأنها الشخص كله. ونحو أن يراد النبت بالغيث، كما يقولون: رعينا غيثاً لكون الغيث سبباً، ونحو أن يراد الغيث بالسماء لكونه من جهتها، يقولون: أصابتنا السماء أي الغيث، ونحو أن يراد بالغيث النبات كقولك: أمطرت السماء نباتاً لكون الغيث سبباً فيه"^(٢).

فالسكاكي يشير هنا إلى علاقة التجاوز بين المعنيين وكيفية استخلاص المتلقي لها بنفسه وفق تصويره لمعنى المقصود، وما يناسب المقام: "فالظن اللبيب يعرف ما يناسب كل مقام، فيصح أن يعتبر في إطلاق الدال على المدلول علاقة المجاورة بأن يتخيل أن الدال مجاور للمدلول، أو علاقة الحالية نظراً إلى أن الدال محل للمدلول، كما يقولون: الألفاظ قوالب المعاني، أو

(*) انظر أسرار البلاغة، ص ٢٩١، ومفتاح العلوم، ص ٥٢٥.

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٧٣.

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٧٣.

علاقة السببية والمسببية أو نحو ذلك بحسب ما يهدي إليه الذوق ويرشد إليه الوجدان الصادق" (١).

من الملاحظ في الأمثلة التي أوردها السكاكي عن المجاز المرسل أنها وفي غالبيتها تكون العلاقة فيها تتراوح ما بين السببية والمسببية نحو قوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ (٢). أي أن الذي ينزل من السماء هو المطر الذي هو سبباً في الرزق. وقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ (٣). وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي﴾ (٤). يعني أن عنادكم هذا يكون سبباً في دخولكم النار، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (٥). وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (٦). استعملت: قرأت مكان: أردت القراءة، لكون القراءة مسببة عن إرادتها، استعمالاً مجازياً بقرينة الفاء في: فاستعذ" (٧).

كما أن السكاكي يعد المستثنى منه باب المجاز يقول: "وأن قولهم: لفلان على عشرة دراهم إلا واحداً، يستدعي دخول الواحد في حكم العشرة، متى قدر من قبل المتكلم ناقص آخر الكلام أوله كما يشهد له الحال" (٨). يعني أن المتكلم يطلق المستثنى منه وهو يريد بعضاً منه بوجود قرينة أداة الاستثناء والمستثنى لذا: "يكون استعمال المتكلم للعشرة مجازاً في التسعة،

(١) علوم البلاغة: للمراغي، ص ٢٥٥.

(٢) سورة غافر، الآية ١٣.

(٣) سورة الذاريات، الآية ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤.

(٥) سورة النساء، الآية ١٠.

(٦) سورة النحل، الآية ٩٨.

(٧) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٤٧٤.

(٨) السابق نفسه والصفحة.

وأن يكون إلا واحدا قرينة المجاز"^(١). بأن يكون دخول المستثنى في حكم المستثنى منه واجباً دون ما لا يكون واجباً مثل قولك: اضرب قوماً إلا عمراً، إذ لا يخفى أن دخول عمرو في حكم الضرب لا يجب وجوب دخول الواحد في العشرة"^(٢).

(١) السابق نفسه ص ٦١٠.

(٢) نفسه ٦١٠.



الفصل الثالث الكناية

الفصل الثالث الكناية المبحث الأول مفهومها عند السكاكي

عرفها السكاكي بأنها: "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لنتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو طول القامة، وكما تقول: فلانة نؤوم الضحى، لنتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو كونها مخدومة، غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات..."^(١).

يفهم من هذا التعريف أن في الكناية معنيين: معنى واضح ظاهر في سياق الكلام، وآخر خفي وهو المقصود. فبالتالي نكون أمام معنى ظاهر من خلال المفردات والصياغ والمعنى الخفي المطلوب وبينهما علاقة عقلية أو عرفية تدلنا على المعنى المراد. قولنا: "فلان طويل النجاد". المعنى الأول أن فلاناً طويل حمالة السيف. غير أن هذا المعنى لا يفي بما يتطلبه السياق أو المقام، لأنه لا قيمة لطول حمالة السيف في مقام المدح. وكي تؤدي الجملة فائدتها الفنية. لا بد من أن نبحث عن العلاقة التي بين المعنيين وبها نصل إلى المطلوب وهو طول القامة.

وفي المثال الثاني يتبادر إلى الذهن المعنى الأول وهو أنها تنام وقت الضحى، لكن هذا المعنى لا يتفق مع سياق الكلام أي المدح. بل قد يوحي بضد هذا المعنى المراد. ولكي نصل إلى المعنى المراد لا بد أن نستعين بالقرائن الحالية، وما في العرف من ترابط بينهما، "لأن وقت الضحى، وقت

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥١٢.

سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه، وتحصيل ما تحتاج إليه في تهيئة المتاولات وتدبير إصلاحها، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك"^(١).

نلاحظ أن كل المفردات التي تستعمل في الكناية تستعمل فيما وضعت له، وأن الصياغة تبدو في ظاهرها تعبيراً حقيقياً. غير أن هذا المعنى المباشر للصياغة هو الذي يحدث فيه التغير بحيث أنه يتغير من معناه الظاهر إلى المعنى الآخر الخفي بوساطة علاقة التلازم التي بينهما.

وقد فرق السكاكي بين المجاز والكناية من ناحيتين:

الأولى: أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها... والمجاز ينافي ذلك. الثانية: أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم"^(٢).

من المعروف في المجاز اللغوي أنه يحتوي على قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي، بحيث أنه يكون هنالك تنافي بين المعنى الحقيقي والقرينة، ولا يستقيم المعنى إلا بالانتقال إلى معنى آخر بديل له: "فلا يصح في نحو رعينا الغيث، أن نريد معنى الغيث، وفي نحو قولك: في الحمام أسد، أن نريد معنى الأسد، من غير تأويل لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت"^(٣).

أما في الكناية فإن المعنى الحقيقي لا يتعارض مع وجوده مع المعنى المجازي، بل هو تأكيد له وتثبيت: "فلا يمتنع في قولك: فلان طويل النجاد أن تريد طول نجاهه، من غير ارتكاب تأول مع إرادة طول قامته"^(٤).

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥١٢.

(٢) السابق نفسه، ص ٥١٣.

(٣) السابق نفسه.

(٤) نفسه.

ومما يبدو في الفرق بين الكناية والمجاز الذي خطه السكاكي أنه معتمد فيه على الفهم والإدراك وإن الخلاف عليه ليس في مضمونه وإنما في المعنى الوارد إلى الذهن.

فبالتالي إن المعنى الظاهر في الكناية - وإن كان لا يتعارض من المعنى الخفي - غير مقصود ومراد، فالمتكلم لا يقصده تماماً، لأنه لو قصده ورمى إليه لكان كلامه خالياً من التعبير الفني. حتى وإن كان للمتلقى أن يأخذ بالمعنيين (القريب والبعيد المطلوب). بما أن علاقة التلازم بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي المطلوب؛ إذن فالعلاقة قوية في الكناية. لأنه إذا وجد التلازم فمن الطبيعي الانتقال إلى ملزومه.

المبحث الثاني أقسام الكناية باعتبار المكنى عنه

قسم جمهور البلاغيين الكناية باعتبار المكنى عنه إلى:

١- كناية عن صفة.

٢- كناية عن موصوف.

٣- كناية عن نسبة.

وكما هو موجود في شروح التلخيص.

الكناية المطلوب بها نفس الموصوف:

هي أنك تريد ذكر موصوف معين، فتذكر صفة أخرى من صفاته مختصة به. بحيث توصلنا إلى مقصودنا. يقول السكاكي: "أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض، فتذكرها متوصلاً بها إلى ذلك الموصوف، مثل أن تقول: "جاء المضياف"، وتريد زيداً، لعارض اختصاص للمضياف بزيد"^(١). وقد سماها السكاكي بالكناية القريبة.

وقد لا تكفي الصفة الواحدة للدلالة على الموصوف، فيتكلف المتكلم تركيب عدة صفات لتدل على الموصوف، وهذا النوع سماه السكاكي بالكناية البعيدة وهي: "أن تتكلف اختصاصها، بأن تضم لازم آخر وآخر، فتلفق مجموعاً وصفيّاً مانعاً عن دخول كل ما عدا مقصودك فيه، مثل أن تقول في الكناية عن الإنسان: "حي، مستوى القامة، عريض الأظافر"^(٢).

هذا النوع من الكناية والذي يكون فيه المعنى قريب ويكون الانتقال يفه من المعنى الأول إلى المعنى الثاني دون أن يكون هنالك تأمل وتخيل لإدراك

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥١٤.

(٢) نفسه، ص ٥١٤.

المعنى المقصود أشار إليه بهاء الدين السبكي بأنه بعيد عن الخفاء والستر وهما من خصائص الكناية. يقول: "هذا القسم بجملته في الكناية نظر، لأن عده من الكناية ما تقابل التصريح، والحد والرسم صريحان في المعنى وكذلك الكنى التي هي أحد أنواع الأعلام صرحوا بأنها كناية، وفيه نظر لأن الكنية علم والعلم صريح في مسماه، فلا فرق بين دلالة أبي عبد الله ودلالة زيد العلمين عليه"^(١).

الكناية المطلوب بها نفس الصفة:

وهي إلحاق صفة بموصوف معين فتترك التصريح بذلك، إلى ذكر أمر يكون بينه وبينها علاقة تلازم. وقد قسمه السكاكي إلى كناية قريبة وهي: "أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب لوازمه إليه، مثل أن تقول فلان طويل النجاد أو طويل نجاهه متوصلاً به إلى طول قامته"^(٢).

وكناية بعيدة: وهي: "أن تنتقل إلى مطلوبك من لازم بعيد بوساطة كثرة متسلسلة، مثل أن تقول: "كثير الرماد"، فنتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الجمر، ومن كثرة الجمر إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدر، ومن كثرة إحراق الحطب إلى كثرة الطباخ، ومن كثرة الطباخ إلى كثرة الأكلة، ومن كثرة الأكلة إلى كثرة الضيفان، ومن كثرة الضيفان إلى أنه مضياف، فانظر بين الكناية وبين المطلوب بها كم ترى من لوازم"^(٣).

وهذا النوع الذي تكثر فيه الوسائط يكون مدعاةً للتأمل وإعمال الفكر بحيث أنه يخلق نوعاً من المسافة بين المعنى الأول والمعنى الثاني المراد. مما يضيف على العبارة الجمال الفني الإبداعي لهذا يعد من أبغ وأجود التعابير الكنائية. واستدل لنا السكاكي بقول الشاعر:

(١) عروس الأفراح: السبكي، ج٢، ص ٢١٢.

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥١٤.

(٣) السابق نفسه، ص ٥١٥.

وما يك في من عيب فإني *** جبان الكلب مهزول الفصيل^(١)
فالمعنى المراد هنا هو الكرم وكثرة الضيافة، فجبين الكلب دليل على
أنه اعتاد دخول الناس بكثرة على تلك الدار التي يحرسها مع العلم أن الكلاب
قد تهاجم كل من يدنو من مكانها. وتكون كثيرة النباح. وهزل الفصيل وهو
ولد الناقة الذي فصل عن أمه، دليل على أن الأمهات من الإبل قد تدبح كلها.
لذلك توصلنا لجبن الكلب بعدة وسائل والسبب في هزل الفصيل أيضاً بعدة
وسائل والتي في الآخر الكناية عن الكرم.

الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف:

تردد عند البلاغيين، أنه إذا أراد المتكلم أن يصف موصوفاً بصفة ما،
وحرصاً منه على عدم التصريح بتلك الصفة لما فيها من مباشرة في الأداء
فيقوم بإخفائها ونسبتها لا إلى الموصوف مباشرة ولكن ينسب إلى ما يتعلق
به. يقول عبد القاهر الجرجاني: "إنهم يؤمّون وصف الرجل ومدحه وإثبات
معنى من المعاني الشريفة له، فيدعون التصريح بذلك، ويكونون عن جعلها فيه
بجعلها في شيء يشتمل عليه، ويتلبس به، ويتوصلون في الجملة إلى ما
أرادوا من الإثبات، لا من الجهة الظاهرة المعروفة، بل من طريق خفي،
ومسلك يدق، ومثاله قول زياد الأعجم:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرْوَةَ وَالنَّدى *** فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ
أراد كما لا يخفى أن يثبت هذه المعاني والأوصاف خلافاً للممدوح،
وضرائب فيه فترك أن يصرح فيقول: "إن السماحة والمروءة والندى
لمجموعة في ابن الحشرج، أو مقصورة عليه، أو مختصة به"، وما شاكل ذلك
مما هو صريح في إثبات الأوصاف للمذكورين بها، وعدل إلى ما ترى من

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥١٥.

الكناية والتلويح، فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه، وإشارة إليه^(١).

والسكاكي جراه في هذا الكلام وجاء بنفس المثال الوارد عند الجرجاني وأضاف أنها: "تفاوت في اللطف، فتارة تكون لطيفة وأخرى ألطف"^(٢).

واستدل أيضاً بقول الشنقري الأزدي في وصف امرأة بالعفة:
يبيت بمنجاة عن اللوم بيتهها *** إذا ما بيوت بالملامة حلت
فعلق عليه السكاكي قائلاً: "إنه حين أراد أن يبين عفافها، وبراءة
ساحتها عن التهمة، وكمال نجاتها عن أن تلام بنوع من الفجور على سبيل
الكناية، قصد إلى نفس النجوة عن اللوم، ثم لما رآها غير مختصة بتلك
العفيفة، لوجود عفاف في الدنيا كثيرة، نسبها إلى بيت يحيط بها، تخصيصاً
للنجاة عن اللوم بها فقال:

يبيت بمنجاة عن اللوم بيتهها^(٣)

الكناية باعتبار الوسائط:

أولاً: التعريض:

وهو: "ما أشير به إلى غير المعنى، بدلالة السياق، كما تقولك إن
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فالمعنى الأصلي انحصار الإسلام
فيمن سلم الناس من يده ولسانه، والمعنى الكنائي اللازم للمعنى الأصلي انتقاء

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، توفي سنة ٤٧١هـ، سرحه وعلق عليه ووضع فهارسه:

د. محمد التتجي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ٢٣٦.

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥١٧.

(٣) السابق نفسه، ص ٥١٩.

الإسلام عن المؤذي مطلقاً، وهو المعنى المقصود من اللفظ ويشير بسياق إلى نفي الإسلام عن المؤذي الذي تكلمت عنده"^(١).

الكناية والتعريض تستخدم فيه العبارة في غير معناها الحقيقي، لوجود تلازم بين المعنى الأول والمعنى الثاني، والفرق يكون بينهما من خلال السياق أو موقف الكلام نفسه إن كان تعريضاً أو غير. فهو: "أخفى من الكناية لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم [القرينة] لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي"^(٢).

وقد أشار السكاكي إلى أن التعريض يعتمد على القرائن والأحوال، وقد يخرج أحياناً من سبيل الكناية إلى المجاز. "قال المعنى المعرض به إن صح أن يراد مع الأصل كان كناية، وإن لم يصح إلا إرادته كان مجازاً"^(٣).

وقد بين السكاكي هذا القول في قلت: "فإذا قلت آذيتني فستعرف، وأردت المخاطب، ومع المخاطب إنساناً آخر معتمداً على قرائن الأحوال، كان من القبيل الأول؛ وإن لم ترد إلا غير المخاطب كان من القبيل الثاني فتأمل"^(٤).

ثانياً: الكناية على غير التعريض:

يقول السكاكي: "متى كانت الكناية عرضية، على ما عرفت، كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسباً، وإذا لم يكن كذلك نظر؛ فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه متباعدة لتوسط لوازم كما في "كثير الرماد" وأشباهه، كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسباً، لأن التلويح هو أن تشيؤ إلى غيرك عن بعد، وإن كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو:

(١) علوم البلاغة: للمراغي، ص ٣٠٥.

(٢) المثل السائر: ابن الأثير، ج ٢، ص ١٨٦.

(٣) مواهب الفتاح: ابن يعقوب المغربي، ج ٢، ص ٤٤٨.

(٤) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥٢٣.

عريض القفا، وعريض الوسادة، كان إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية، قال: رمزت إلى مخافة من بعلمها *** من غير أن تبدي هناك كلامها وإن كانت لا مع نوع الخفاء كقول أبي تمام: أبين فما يزرن سوى كريم *** وحسبك أن يزرن أبا سعيد فإن في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خافٍ كان إطلاق اسم الإيماء ذو الإشارة عليها مناسباً^(١).

كما أنه أشار إلى أنها تتفاوت إلى رمز وإيماء وإشارة. والسكاكي في مفهومه هذا جاء مخالفاً لرأي الزمخشري الذي فرق بين التعريض والكناية وجعل كل قسم منهما قائماً بذاته، يقول: "فإن قلت: الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك "طويل النجاد والحمائل" لطويل القامة، "كثير الرماد" للمضياف. والتعريض: أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول للمحتاج إليه: "جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم". ولذلك قالوا: وحسبك بالتسليم مني تقاضياً

وكأنه إحالة إلى عرض يدل على الغرض، ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريد^(٢).

ونحن نميل إلى رأي السكاكي ومفهومه للكناية وعلاقة التلازم بين المعنى الأول الظاهر والمعنى الخفي المطلوب. لأنه فيه إعمال فكر واستخراج مكنون العبارة.

وجدنا أن السكاكي في بحثه للكناية لم يسرف في التقسيم وتفصيل المسائل وتشريحها جزءاً جزءاً، لكنه بحثها بروح تكاد تكون أقرب إلى روح

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥٢١.

(٢) الكشف: الزمخشري، ج ١، ص ١٥٧.

الأديب. مع استشهاده بمعظم الأمثلة التي وردت عند عبد القاهر الجرجاني.
والفخر الرازي.

وقد خلص إلى رأي الأصحاب أو السلف: "في أن المجاز أبلغ من
الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وإن الكناية أوقع من
الإفصاح بالذكر"^(١).

إن في التصريح بالتشبيه اعترافاً بكون المشبه به أكمل من المشبه في
وجه التشبيه.

إن في ترك التصريح بالتشبيه إلى الاستعارة التي هي مجاز
مخصوص الفائدة.

(١) مفتاح العلوم: السكاكي، ص ٥٢٣.

الخاتمة

بعون الله ورعايته وتيسيره أكملت هذا البحث الذي يمثل عصراً كان لعلوم العربية حظاً وافراً فيه مع امتزاجها ببعض الثقافات الأخرى من الأعاجم الذين ألفوا كتباً حولها. كما أن المذاهب المختلفة والمعتقدات قد ألفت بظلالها عليها. وأثر علوم المنطق والفلسفة وعلم الكلام على علمائها تجلى واضحاً في مؤلفاتهم. ومنهم السكاكي الذي كان من علماء تلك الحقبة الزمنية المشبعة بالعلوم والنهضة الفكرية.

وقد خرجت بالنتائج الآتية:

- ١- إن كثير من الموضوعات التي درسها السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" قد درسها البلاغيون قبله منذ القرن الثالث الهجري، وحتى القرن الخامس الهجري.
- ٢- تعريف علم البيان قد أوحى إليه الرماني في رسالته "إعجاز القرآن" إيجاءً قد يكون مطابقاً للنص.
- ٣- إن عبد القاهر فصل مسائل البيان تفصيلاً دقيقاً في كتابه أسرار البلاغة.
- ٤- والذي أضافه السكاكي لهذه الدراسات أنه اتبع المنهج الفلسفي الذي يعتمد إلى تعريف الحقيقة بالحد التام، كما يقول المناطقة، وتقسيم الكل إلى أدق أجزاءه، مما نتج عنه جفاف وصعوبة في الدرس البلاغي، حيث عزله عزلاً يكاد يكون تاماً عن الأساليب الأدبية التي اعتمد عليها البلاغيون قبله.

الفهارس العامة

وتحتوي على:

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأعلام.
- ٣- فهرس المصادر والمراجع.
- ٤- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	الآية	رقم الصفحة
٢ / سورة البقرة:			
١	١٧	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .	٢٤
٢	١٩	﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ .	٥٣
٣	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .	٢٨
٤	٢٤	﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ .	٨٥
٥	٢١٤	﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾ .	٧٢
٦	٢١٤	﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ .	
٧	٢٧٥	﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ .	٤٩
٨	٢٨٦	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .	أ
٣ / سورة آل عمران:			
٩	١٣٣	﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ .	١٩

٤ / سورة النساء:		
٨٥	١٠	﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا... ﴾.
٦ / سورة الأنعام:		
٧٣	٦٨	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾.
٧ / سورة الأعراف:		
٧٢	١٥٤	﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ ﴾.
٥٩	٣١	﴿ خذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾.
١٩	١٧١	﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾.
١٠ / سورة يونس:		
٥١	٢٤	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا فَاحْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا ﴾.
١٤ / سورة إبراهيم:		
١	٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾.
١٦ / سورة النحل:		
٤٩	١٧	﴿ أَفَمَنْ تَخْلُقُ كَمَنْ لَا تَخْلُقُ ﴾.
٨٥	٩٨	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾.
٧٣	١١٢	﴿ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾.

١٩ / سورة مريم:		
٧٢	٤	﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾.
٢١ / سورة الأنبياء:		
٧٢	١٨	﴿ بَلْ نَقَدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾.
٢٤ / سورة النور:		
٤٠ ، ١٨	٣٩	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ ﴾.
٢٥ / سورة الفرقان:		
٧٢	٢٣	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا ﴾.
٤٣	٤٣	﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ ﴾.
٢٧ / سورة النمل:		
٥٦	٨٨	﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾.
٢٨ / سورة القصص:		
٨٢	٨	﴿ فَالْتَقَطَهُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا... ﴾.
٣٦ / سورة يس:		
٧٢	٣٧	﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾.
٧٢	٥٢	﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا ﴾.
٤٠ / سورة غافر:		
٨٥	١٣	﴿ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾.
٥١ / سورة الذاريات:		
٨٥	٢٢	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾.
٧٢	٤١	﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾.

٥٥ / سورة الرحمن:		
١٩	٢٤	﴿ وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴾.
٧٢	٣١	﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾.
٥٧ / سورة الحديد:		
٥٦	٢١	﴿ عَرَضُهَا كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾.
٦٢ / سورة الجمعة:		
٥٥	٥	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ تَحْمِلُ أَثْقَارًا ﴾.
٦٧ / سورة الملك:		
٧٢	٨	﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾.
٦٩ / سورة الحاقة:		
٧٣	٦	﴿ بَرِيحٍ صَرَّصِرٍ عَاتِيَةٍ ﴾.
٧٣	١١	﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾.

فهرس المصادر والمراجع

الرقم	المصدر
	أولاً: القرآن الكريم.
	ثانياً: المصادر والمراجع
١	أسرار البلاغة: الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ت ٤٧١هـ، تحقيق: محمد الفاضلي، بيروت، المكتبة العصرية، صيدا.
٢	الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، ط ١٠، بيروت، دار العلم، ١٩٩٢م.
٣	الإيضاح في علوم البلاغة: للقزويني محمد بن عبد الرحمن، المتوفى ٧٣٩هـ، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٤	البلاغة تطور وتاريخ: د. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، الطبعة العاشرة.
٥	البلاغة عند السكاكي: د. أحمد مطلوب، ط ١، بغداد، مطابع دار التضامن، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٦	البيان والتبيين: الجاحظ، ط ٤، دار الفكر، بيروت.
٧	التقاسيم في معرفة الأقاليم: للمقدسي المعروف بالبشاري، ط ٢، في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل، سنة ١٩٠٦م المسيحية.
٨	تلخيص المفتاح: للإمام الشيخ الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، المتوفى ٧٣٩هـ، تحقيق: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٩	دروس في البلاغة العربية: تأليف: الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي.
١٠	دلائل الإعجاز: أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، المتوفى ٤٧١هـ، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه: د. محمد التنجي، ط١، دار الكتاب العربي.
١١	سر الفصاحة: للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، المتوفى ٤٦٦هـ، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
١٢	الصناعتين في الكتابة والشعر: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت ٤٩٥هـ، علق على حواشيه وضبطه: الدكتور مفيد قميحة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٣	عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: الشيخ بهاء الدين السبكي، ت ٧٧٣هـ، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، لبنان، المكتبة العصرية، صيدا.
١٤	علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: أحمد مصطفى المراغي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥	العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبي الحسن علي بن رشيق القيرواني الأزدي، حققه وفصله وعلق على حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، دار الطلائع سنة ٢٠٠٦م.
١٦	عيار الشعر: محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق وتعليق: د. محمد زغلول سلام، ط٣، الإسكندرية، منشأة المعارف.
١٧	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٣٨هـ، شرحه وراجعته وضبطه: يوسف الحمادي، مكتبة مصر.

١٨	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير الكاتب: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المتوفى ٦٣٧هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١٩	المصباح: الإمام أبي عبد الله بدر الدين بن مالك الدمشقي الشهير بابن الناظم، المتوفى ٦٨٦هـ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٠	المطول في تلخيص المفتاح: العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، ت ٧٩٣هـ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
٢١	معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، تحقيق: د. حسان عباس، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
٢٢	معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية: عمر رضا كحالة، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٣	مفتاح العلوم: للعلامة أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، المتوفى ٦٢٦هـ، حققه وقدم له: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، منشورات محمد علي بيضون.
٢٤	مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المتوفى ٨٠٨هـ، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
٢٥	مواهب الفتح على تلخيص المفتاح: لابن يعقوب المغربي، ت ١١٢٨هـ، تحقق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٢٦	النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ابي الحسن علي بن عيسى الرماني، المتوفى ٣٨٤هـ، تحقيق: خلف الله وسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥م.
٢٧	نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، المتوفى ٦٠٦هـ، تحقيق ودارسة: د. بكري شيخ أمين، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، سنة ١٩٨٥م.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	الاستهلال
ب	الاهداء
ج	الشكر والتقدير
د	ملخص البحث
هـ	Abstract
و-ي	المقدمة
١	تمهيد
٥٦-١٥	الفصل الأول التشبيه
٣٠-١٦	المبحث الأول: حول مفهوم التشبيه.
٤٦-٣١	المبحث الثاني: أقسام التشبيه.
٥٢-٤٧	المبحث الثالث: الغرض من التشبيه.
٥٦-٥٣	المبحث الرابع: تشبيه التمثيل.
٨٦-٥٧	الفصل الثاني المجاز
٧٤-٦٠	المبحث الأول: المجاز اللغوي - الاستعارة.
٨٣-٧٥	المبحث الثاني: المجاز العقلي - الاستعارة المكنية.
٨٦-٨٤	المبحث الثالث: المجاز المرسل.
٩٧-٨٧	الفصل الثالث الكناية
٩٦-٨٨	المبحث الأول: مفهوم الكناية عند السكاكي.

٩٧-٩١	المبحث الثاني: تقسيم الكناية باعتبار المكنى عنه وتقسيمها باعتبار الوسائط.
٩٨	الخاتمة.
٩٩	الفهارس العامة.
١٠٣-١٠٠	فهرس الآيات القرآنية.
١٠٧-١٠٤	فهرس المصادر والمراجع.
١٠٩-١٠٨	فهرس الموضوعات.